منهج الشيخ ابن عثيمين
في
الاستنباط من القرآن الكريم

دكتور
أحمد بن سليمان بن صالح الخضير

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة القصيم
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

منهج الشيخ ابن عثيمين في الاستنباط من القرآن الكريم

د. أحمد بن سليمان بن صالح الخضير

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،، أما بعد :

فإن أعظم ما عني به كتاب على وجه المعمورة ، كتاب الله عزّ وجل ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنـــزيل من حكيم حميد .

أنزله الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فسماه بأسماء عظيمة ، ونعته بأوصاف مجيدة ، فهو ذكر ، وفرقان ، ونور ، وهدى، وكذا قول فصل ، فهو معين لا ينضب ، وكتاب لا يَخْلَق .

ولقد هرع علماء الإسلام والأئمة من عهد النبوة إلى وقتنا الحاضر خدمة له ، فمفسر لآياته، ومستنبط لأحكامه ، ومتدبر لسوره ، ومتأمل لقصصه .

ومن هؤلاء الأعلام الذين كان لهم جَهْد بارز ، وقبس يستضاء به الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، الذي أفنى عمره في فهم وتعلم وتعليم كتاب الله عزّ وجل.

ولما تصفحت تفسيره لكتاب الله عزّ وجل لفت انتباهي بروز شخصية الشيخ واستقلاليته في آرائه التفسيرية من حيث قوة الاستنباط ، ووجاهة الدلالة ، فعقدت العزم على بحث منهجه في الاستنباط ، وقد حصل ذلك – ولله الحمد – فجمعت المادة العلمية

من تفسيره ، وسميته بـ "منهج الشيخ ابن عثيمين في الاستنباط من القرآن الكريم " .

وذلك خدمة لكتاب الله عزّ وجل أولاً ، ثم وفاءً للشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – بخدمة تفسيره ، وإبراز ما فيه من مادة علمية جديرة بالبحث والدراسة ثانياً.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، وذلك على النحو التالي:

ـ المقدمة .

ـ التمهيد : وفيه

أولاً : تعريف الاستنباط لغة واصطلاحاً ، وبيان أهميته.

ثانياً : ترجمة موجزة لابن عثيمين.

ـ المبحث الأول : صيغ الاستنباط وطريقة عرضها عند ابن عثيمين ، وفيه مطلبان:

المطلب الأول : صيغ الاستنباط .

المطلب الثاني : طريقته في عرض الاستنباطات .

ـ المبحث الثاني : موضوع الاستنباط من القرآن الكريم عند ابن عثيمين، وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : استنباطات في علوم القرآن .

المطلب الثاني : استنباطات في السنة وعلومها .

المطلب الثالث : استنباطات عقدية .

المطلب الرابع : استنباطات في الفقه وأصوله .

المطلب الخامس : استنباطات لغوية وبلاغية .

المطلب السادس : استنباطات في السياسة الشرعية.

المطلب السابع : استنباطات تربوية وسلوكية.

المطلب الثامن : استنباطات متنوعة .

ـ المبحث الثالث : منهج ابن عثيمين في طرق الاستنباط من القرآن، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول : الاستنباط بدلالة المطابقة .

المطلب الثاني : الاستنباط بدلالة التضمن .

المطلب الثالث: الاستنباط بدلالة الالتزام .

المطلب الرابع : الاستنباط بدلالة النص (مفهوم الموافقة).

المطلب الخامس : الاستنباط بدلالة المفهوم (مفهوم المخالفة).

المطلب السادس : الاستنباط بالقياس .

المطلب السابع : الاستنباط بدلالة المطرد من أسلوب القرآن الكريم.

المطلب الثامن : الاستنباط من نص واحد ظاهر المعنى.

المطلب التاسع : الاستنباط بالربط بين نصين أو أكثر.

ـ المبحث الرابع : مميزات استنباطاته .

ـ الخاتمـــة : وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال البحث.

ـ الفهارس : وفيها ثبت المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

وأما بالنسبة لمنهجي في البحث فقد سلكت المنهج التالي:

١ ــ جمعت المادة العلمية في الاستنباط من تفسير العثيمين المطبوع .

٢ ــ وثّقت الآيات الكريمة ، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٣ ــ خرجت الأحاديث من مظانها فإن كانت في الصحيحين فإني أشير إليهما أو إلى أحدهما، وإن كانت في غير الصحيحين فإني أخرجها من مصادرها وأذكر كلام العلماء حول الأحاديث من تصحيح أو تضعيف، والإحالة على ذلك من الكتب المعتمدة في هذا الباب.

٤ ــ عرفت بالمصطلحات والحدود العلمية وأحلت على ذلك من مصادرها الأصلية.

٥ ــ شرحت الألفاظ الغريبة ، وعزوت ذلك إلى مصادرها المعتبرة .

٦ ــ وثقت الأبيات الشعرية وذلك بعزوها إلى قائلها وذكر المصدر في ذلك .

٧ ــ وضعت خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات .

٨ ــ وضعت فهارس كاشفة للبحث .

وأخيراً : أسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد

أولاً : في التعريفات بموضوع البحث ، وتشمل :

١ ــ تعريف المنهج .

٢ ــ تعريف الاستنباط في اللغة والاصطلاح وبيان أهميته .

ثانياً : ترجمة موجزة لابن عثيمين .

أولاً : تعريف المنهج .

المنهج في اللغة : هو الطريق الواضح .

قال ابن فارس (ت ٣٩٥): "(نهج) النون والهاء والجيم أصلان متباينان : الأول النَّهج الطريق ، ونهج لي الأمر أوضحه ، وهو مستقيم المنهاج ، والمَنْهج : الطريق أيضاً، والجمع مناهج"[1].

وقال ابن منظور : (ت ٧١١) : "نهج : طريق نَهْج بيِّن واضح، وهو النهج ، قال أبو كبير[2]:

فَأَجَزْتُهُ بِأفلَّ يُحْسَبُ أَثَرُهُ نَهْجاً أَبانَ بِذِي فَرِيخٍ مَخْرَفِ

والجمع نهجات ، ونُهُج ، ونُهوجٌ ، ومنهج الطريق : وضحُه ، والمنهاج: الطريق الواضح"[3].

---

(1) انظر : معجم مقاييس اللغة (٣٦١/٥) .

(2) البيت لأبي كبير الهذلي ، انظر : شرح أشعار الهذليين (١٠٨٦/٣)، ومعناه : الأفلّ : السيف به فلل، وفلولٌ معاً، قد قورع به ، "نهج" : ماض ذاهب، والمخرف : المخرفة الطريق من طرق النَّعم ، يقال: تركته مثل مخرفة النعم: أي على طُريقها" .

(3) انظر : لسان العرب (٤٤٧/٢) مادة "نهج" .

٢ ــ تعريف الاستنباط :

الاستنباط في اللغة : استفعال من أنبطت كذا [١].

قال ابن دريد (ت ٣٢١) :

"نبطت البئر وأنبطتها إذا استخرجت ماءها، وكل شيء أظهرته بعد خفائه فقد أنبطته واستنبطته ، واستنبطت من فلان علماً أو خبراً أو مالاً إذا استخرجته منه"[٢].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥) :

"(نبط) النون والباء والطاء كلمة تدل على استخراج شيء ، واستنبطت الماء : استخرجته ، والماء نفسُه إذا استُخْرِج نَبَط ، ويقال : إن النبط سموا به لاستنباطهم المياه"[٣].

وقال ابن عثيمين : "وأصل الاستنباط من نبط يعني : استخراج الماء، وسمي استخراج الماء استنباطاً لأنه كان يستخرجه فيما سبق الأنباط ، الذين ليسوا من العرب، فكانوا هم الذين يحفرون عن الماء حتى يصلوا إلى غايته" ، وقال في موضع آخر : "لأن الأنباط هم الذين يتولون استنباط المياه حين كان على عهد الأمة الإسلامية الزاهر"[٤].

وأما الاستنباط في الاصطلاح :

فقد عرفه العثيمين بقوله: "ولكن المراد بالاستنباط في الألفاظ استخراج المعاني"[٥].

وعلى هذا يقال إن الاستنباط من القرآن يعني : "ربط كلام له معنى بمدلول الآية،

---

[١] انظر : المفردات للراغب (ص٧٨٨) ، ومنهج الاستنباط من القرآن الكريم للوهيبي (ص٣٠) .

[٢] انظر : جمهرة اللغة (٣١٠/١) .

[٣] انظر : معجم مقاييس اللغة (٣٨١/٥) مادة "نبط" .

[٤] انظر : تفسير سورة النساء (٢٣/٢، ٢٧) ، والنبط : جيل معروف بمقابلة العرب، يقال: ذاك عربي، وهذا نبطي، وهم قوم ينـــزلون بالبطائح بين العراقين . [انظر: عمدة الحفاظ (١٥٩/٤)، ومختار الصحاح (ص٥٦٦)].

[٥] انظر : تفسير سورة النساء (٢٣/٢) .

بأي نوع من أنواع الربط ، كأن يكون بدلالة الإشارة أو دلالة المفهوم، أو غيرهما، وكل كلام ربط بمعنى الآية فإنه من هذا الباب"[١].

وأما عن أهمية الاستنباط فقد اهتم العثيمين في تفسيره بالاستنباط من القرآن الكريم اهتماماً بالغاً ، وأولاه عناية فائقة ، والقارئ والمتصفح لتفسير العثيمين لا يجد عناءً في البحث عن مواطن الاستنباط عنده ؛ لأن ذلك واضحاً من خلال طريقته ومنهجه في تفسيره، فمنهج الشيخ في تفسيره للقرآن الكريم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : يفسر الآية ويبيّن معناها وما يتعلق بها من قراءات ولغة وغيرها.

القسم الثاني : الفوائد المستنبطة من الآيات .

وقد أشار العثيمين إلى هذا التقسيم بقوله : "سبق الكلام على هذه الآية تفسيراً واستنباطاً"[٢]، وأحياناً يأتي بعبارة "وذكرنا في التفسير"[٣]، أو "قد سبق لنا في التفسير"[٤]، أو "مرّ بنا في التفسير"[٥]، أو "أثناء التفسير"[٦].

وقد نصّ رحمه الله في مواطن كثيرة على لفظة الاستنباط [٧]، مثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ [البقرة: ١٨٧]، حيث قال : "أخذ بعض أهل العلم من هذا استحباب السُحور، وتأخيره، وهذا الاستنباط له غور ..."[٨].

---

(1) انظر : علوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ، د.مساعد الطيار (ص١٦٠) .

(2) انظر : جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ، د.أحمد البريدي (ص٥٤٣) .

(3) انظر : تفسير سورة يس (ص٢٣٤)، (ص٢٥٣) .

(4) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٣٧/٢)، الفائدة (٣) .

(5) انظر : تفسير سورة آل عمران (١١٤/٢)، الفائدة (٥) .

(6) انظر : تفسير سورة ص (ص٢١)، الفائدة (١) .

(7) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٤١/٢)، وتفسير سورة البقرة (٣٥٩/٢)، الفائدة (٣٢) .

(8) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٥٣/٢)، الفائدة (١٤)، ومعنى غور : أي بعيد ، ومعنى الكلام أن الاستنباط له بُعْد .

إضافة إلى ذلك فقد ألف رحمه الله كتاباً وسمّاه "الإلمام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً"، ويدرّس في المرحلة المتوسطة في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية.

وقد بيّن رحمه الله أهمية الاستنباط وأثر ذلك في فهم كتاب الله عزّ وجل في أكثر من موضع من تفسيره ، فقال رحمه الله : "من خلال ذكره لفوائد قوله تعالى : ﴿ذلك نتقول عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ [آل عمران: ٥٨] أن القرآن الكريم آية بل آيات كما قال الله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت ٤٩]، آيات عظيمة ، فآياته كثيرة ، كل آية فيها عدة آيات بينات ، أما الذي تمر عليه مثل هذه الجملة من الآيات مرّ الكرام ، ولا يتحرك بها قلبه ، ولا يتأمل هذه الآيات، فإنه لا ينتفع بما في القرآن من الآيات ، لا بد أن تؤمن بأن فيه آيات، وأن تحاول استخراج هذه الآيات بالتدبر، والإنسان إذا تدبر القرآن ، وجد فيه آيات عظيمة ، لا يحصيها البشر"[1].

وقال رحمه الله مذكراً بطريقته ومنهجه في تفسيره من أنه حرص على استنباط الفوائد من الآيات ، وذلك في مقدمة كتابه "أحكام القرآن" ، فقال :

"ولا ريبَ أن كلَّ آيةٍ في كتابِ اللهِ تتضمّنُ فوائد عظيمةً يَعرِفُها الإنسان بحسب علمه وفهمه ، ولا ريب كذلك أن الإنسان يُؤتى العلم بحسب ما معه من الإيمان والهدى والتقى، كما قال الله تعالى : ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم﴾ [محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً، فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً، وهم يستبشرون﴾ [التوبة: ١٢٤]، وكلما كان الإنسان أشدّ إقبالاً على القرآن الكريم، وإيماناً به، وحُبّاً له، وتدبراً لآياته ، كان به أفهم ، وبما يدلّ عليه من الفوائد العظيمة ، والأحكام أوسع ، ولهذا فإني أحثُّ إخواني المسلمين على تدبّر كتاب الله عزّ وجل ، وتفهّم معانيه ، والرّجوع فيما لا يعرفونه إلى أهل العلم ليبيّنوه لهم ، وإن لم يتيسر ذلك فإلى كتب التفسير

[انظر: مختار الصحاح (ص٤٢٦) باب الغين] .

[1] انظر : تفسير سورة آل عمران (٣٤٩/١)، الفائدة (٢) .

الموثوق بها ، كتفسير ابن كثير رحمه الله ، وتفسير شيخنا عبدالرحمن بن سعدي ، وتفسير القرطبي ، وتفسير الشوكاني ، وغيرها من التفاسير المعروفة الموثوق بمؤلفيها في علمهم ودينهم ؛ لأن الله سبحانه وتعالى إنما أنزل القرآن لهذا، كما قال الله تعالى: ﴿كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليدّبروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب﴾ [ص: ٢٩].

فالقرآن الكريم لم ينزل لمجرّد التلاوة اللفظية ، تلاوة الآيات الحرفية ، بل نزل من أجل هذا ومن أجل ما هو أتمّ وأكمل ، وهو تدبّر الآيات وتفهّم معانيها، ثم التذكّر بما فيها من القصص والأخبار والمواعظ والأحكام ، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون عشر آيات من القرآن حتى يتعلّموها وما فيها من العلم والعمل ، فتعلّموا القرآن والعلم والعمل جميعاً ، وكثير من الناس اليوم لا يهتمّ بهذا الجانب ، أعني جانب المعنى وجانب التّدبّر ، وما تتضمنه الآيات من الفوائد والأحكام ، ولا يهتمون به.

وهذا قصورٌ بلا شك من الإنسان ، وتقصير منه ، ونحن في هذا الكتاب لن نتكلم كثيراً عن تفسير الآيات، وبيان وجوهها اللغوية من البلاغة والإعراب وغير ذلك ؛ لأن هذا – والحمد لله – موجود في كثير من كتب المفسرين ، ولكن يهمني أن أبيّن الفوائد التي تُستنبط من هذه الآيات ، وأبيّن وجه ذلك غالباً فيما يحتاج إلى بيان، وفيما خفيت دلالته، لأن الاستفادة من القرآن الكريم بهذه الطريقة يحصل بها علم كثير»[1].

[1] انظر : أحكام من القرآن الكريم (١/٧-٩) .

ثانياً : ترجمة موجزة لابن عثيمين ، وتتضمن ما يلي :

اسمه ونسبه وكنيته : هو أبو عبدالله محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان الوهيبي التميمي، وجدّه الرابع "عثمان" أُطلق عليه عثيمين ، فاشتُهر به .

مكان وتاريخ ولادته : ولد في عنيزة ، إحدى مدن القصيم ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

شيوخه : للعثيمين شيوخ كثر تتلمذ عليهم واستفاد منهم، من أبرزهم : فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، وفضيلة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، وفضيلة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (ت ١٤٢٠هـ)، – رحمهم الله تعالى – .

تلاميذه : تتلمذ على الشيخ طلاب من شتى طبقات المجتمع ، ولا أبالغ عندما أقول: إن غالب من في المملكة العربية السعودية – حرسها الله تعالى – من الفقهاء والعلماء والقضاة وأساتذة الجامعات هم ممن تتلمذ على يديه أو استفاد من كتبه .

ومن أبرز تلاميذه : د.خالد بن عبدالله المصلح ، ود.سامي بن محمد الصقير، ود.عبدالرحمن بن صالح الدهش – حفظهم الله جميعاً – .

مؤلفاته : للشيخ – رحمه الله – مؤلفات كثيرة وفي شتى الفنون، ولكني اقتصرت هنا على مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن فقط ، وهي :

ـ تفسير القرآن الكريم ، ويشمل تفسير السور التالية: البقرة ، وآل عمران ، والنساء، والكهف ، وص ، ويس ، وسور المفصل من الحجرات إلى الحديد، وجزء عمّ.

ـ شرح كتاب مقدمة التفسير لابن تيمية .

ـ أصول في التفسير .

ـ الإلمام ببعض آيات الأحكام تفسيراً واستنباطاً ، يُدرّس في المرحلة المتوسطة في المعاهد العلمية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

ـ أحكام من القرآن الكريم ويشمل سور "الفاتحة والبقرة وآل عمران إلى الآية ٩٠".

وفاته : وبعد هذه الحياة المباركة، الحافلة بالعلم ، والتأليف ، والإفتاء ، والتدريس ، وافته المنية في عصر يوم الأربعاء، بتاريخ ١٥/١٠/١٤٢١هـ، الموافق ١٠/١/٢٠٠١م.

ودفن بمقبرة العدل بجوار قبر شيخه العلاّمة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز – رحمه الله – ت(١٤٢٠هـ) [1].

[1] الترجمة الموجزة استفدتها من كتاب "الجامع لحياة العلاّمة محمد بن صالح العثيمين العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي"، لوليد بن أحمد الحسين .

المبحث الأول

صيغ الاستنباط وطريقة عرضها عند ابن عثيمين

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صيغ الاستنباط عند ابن عثيمين .

الصيغ في أصلها اللغوي من مادة "صَوَغَ" ، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الصاد والواو والغين أصل صحيح ، وهو تهيئة على شيء على مثالٍ مستقيم ، من ذلك قولهم: صاغ الحُلي، يَصُوغُهَا صَوْغاً، وهما صَوْغان، إذا كان كل واحد منهما على هيئة الآخر"[1].

والمراد بصيغ الاستنباط هنا : الألفاظ التي تسبق الاستنباط ، فإذا جاءت أي صيغة من الصيغ الآتية ذكرها فهي علامة على وجود استنباط بعدها – غالباً – ويتم التعرف عليها من خلال التتبع والاستقراء .

ومن خلال جمعي لصيغ الاستنباط عند ابن عثيمين تبين لي ما يلي :

أولاً : إذا كانت الآية لا تشتمل على قصة بمعنى أن الآية ليس فيها ذكر لقصص الأمم السابقة أو الأحداث التي حصلت في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنه يستعمل الصيغ الآتية :

"الفائدة من الآية"، "الفوائد من الآية"، يؤخذ منه فائدة" ، "ويتفرع على هذه الفائدة"، "ويترتب على هذه الفائدة" ، "وينبني على هذا فائدة"، "ومن فوائدها"، "الفوائد"، "يستفاد منها"، "وفائدة كذا"، "محط الفائدة"، "يفيد"، "الفائدة من التعبير".

وهذه هي أكثر الصيغ استعمالاً عند ابن عثيمين ، وهناك صيغ أخرى تعتبر الأقل استعمالاً، وهي :

---

[1] انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢١) مادة "صوغ" .

"في هذا دليل" ، "يدل عليه" ، "في هذه الآية دليل"، "دليل على" ، "فهو دليل" ، "ويدل على" ، "ويدل لذلك" ، "ولو تأملتم" ، "إشارة إلى" ، "فيه إشارة" ، "وهذا استنباط جيد" ، "ويمكن أن يستنبط" ، "وإذا استنبط ذلك" ، "وهذا الاستنباط له غور"، "يستنبط من هذا" ، "وجاء التعبير" ، "ولم يأت التعبير" ، "وهنا إشكال" ، "ولهذا قال الله"، "لأن الله قال" ، "تضمنت" ، "لها مناسبتان" ، "والمناسبة" ، "وهنا ذكر" ، "وهنا بدء" ، "ونص الله" ، "فلهذا نص الله" ، "تنبيه" ، "تأمل قوله" ، "كررت" ، "عند التأمل"، "فإنه يلزم" ، "ومن نأخذ" ، "فإذا قال قائل" ، "وهنا مسائل" ، "له موقع عظيم" .

ثانياً : إذا كانت الآيات تحكي قصص السابقين ، وتذكر بالأحداث التي حصلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن العثيمين يستعمل الصيغ التالية :

"إن هذه القصة عجيبة" ، "ومن فوائد القصة" ، "ومن الفوائد لهذه القصة" ، "في القصة فوائد كثيرة" ، "إن العبرة بما في القصة" ، "والعبرة في القصة كذا" ، "في هذه الآيات من العبر" ، وقصّ الله سبحانه" .

ثالثاً : إذا أخّر العثيمين الاستنباطات إلى آخر السورة ، فإنه يعمد إلى الصيغ الآتية:

"في هذه السورة كلها" ، "وفيها الحث" ، "السورة لها مغزى عظيم"، "وفي هذه السور فضائل"، "والحاصل أن هذه السورة" .

المطلب الثاني : طريقته في عرض الاستنباطات.

لكل مفسّر طريقته في عرض الاستنباط ، تتبيّن من خلال منهجه في تفسيره ، وابن عثيمين كانت طريقته الواضحة في عرضه للاستنباط ، وهي إحدى المعالم في تفسيره، وتتبيّن من خلال ما يلي :

١ ــ جرت عادة العثيمين بذكر ما يستنبط من الآية ، وذلك بعد كل آية أو آيتين أو ثلاث[1] .

---

[1] هذا في جميع سور القرآن التي تم تفسيرها ، ويستثنى من ذلك تفسير سورة الكهف، وسور المفصل، وجزء عمّ.

٢ ــ تصديره للاستنباطات بالصيغ التي مرّ ذكرها[١] .

٣ ــ اتسمت استنباطاته في الآية الواحدة بالتنوع ، فتجد الاستنباط في علوم القرآن، وكذلك الاستنباط العقدي ، وكذلك الفقهي ، إلى غير ذلك من المواضيع التي سأناقشها بإذن الله تعالى في المبحث الثاني .

٤ ــ لا يكتفي بالاستنباط من الآية مباشرة ، بل ويفرع على ذلك ، وقد استعمل عدداً من الألفاظ في ذلك ، فيقول مثلاً : "ويتفرع على هذه الفائدة ..."[٢]، وهذه الجملة أكثر من استعمالها ، وأحياناً يأتي بلفظ "ينبني على هذه الفائدة ..."[٣]، ويأتي بلفظ "ويترتب على هذه الفائدة ..."[٤]، وبلفظ "هذه فائدة متفرعة على الفائدة التي قبلها ..."[٥].

٥ ــ ربما أطال في الاستنباط كثيراً ، لكنه رحمه الله يأتي بعد ذلك بذكر خلاصة ما تم ذكره فيصدر ذلك بلفظ "الخلاصة"[٦] .

٦ ــ لم يكن للعثيمين ضابط بذكر الاستنباط ، فأحياناً يذكر ذلك بعد كل آية، وأحياناً بعد كل آيتين ، وأحياناً بعد ثلاث آيات[٧]، وفي أحيان كثيرة يرجئ الاستنباط إلى نهاية السورة[٨].

---

(1) انظر : المطلب الأول من المبحث الأول .

(2) انظر مثلاً : تفسير سورة البقرة (٢٣٩/٣) الفائدة (٢) .

(3) انظر : تفسير سورة البقرة (٥٤/٣) الفائدة (٣) .

(4) انظر : تفسير سورة النساء (٣٢٣/١) الفائدة (١) .

(5) انظر : تفسير سورة يس (ص١٩٥) الفائدة (٣-٤) .

(6) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٩٥/٣) الفائدة (٨) ، وانظر كذلك : تفسير سورة البقرة (٤٥٥/٣) الفائدة (٢).

(7) وقد وجدته في سورة آل عمران أنه التزم بذكر ما يستنبط منها إلا في آية (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨) فلم ينص على الاستنباطات في الآيات السابقة ، انظر : تفسير سورة آل عمران (٢٦١/١-٢٨٦) .

(8) انظر صنيعه في تفسير سورة الزلزلة وسورة العصر ، فقد قال رحمه الله بعد تفسير سورة الزلزلة : "وهذه السورة كلها التحذير والتخويف من زلزلة الأرض ، وفيها الحث على الأعمال الصالحة ، وفيها أن العمل لا يضيع مهما قل، حتى لو كان مثقال ذرة أو أقل، فإنه لا بد أن يراه الإنسان ، ويطلع عليه يوم القيامة، نسأل الله أن يختم لنا بالخير والسعادة والصلاح والفلاح ، وأن يجعلنا ممن يحشرون إلى الرحمن وفداً ، إنه على كل شيء قدير" . [انظر: تفسير

٧ ــ كثيراً ما كان رحمه الله يذكر الاستنباط بدون صيغة ، وذلك لأنه استهل بها في أول استنباط ذكره للآية ، فهو لا يكرر الصيغ كثيراً مع كل استنباط .

٨ ــ ربما كرر الاستنباط في الآية الواحدة ، ولكن بأسلوب مختلف ، ولعل السبب في ذلك لأهمية ذلك الأمر[١].

٩ ــ في أحيانٍ قليلة يذكر الفرق بين الموضوعين المستنبطين من الآية [٢].

١٠ ــ ذكره للاستنباط على طريقة السؤال والجواب [٣].

١١ ــ ربما صدر الاستنباط بالمفهوم الشائع والخاطئ ، ثم بعد ذلك يبين وجه الصواب في ذلك[٤].

١٢ ــ أحياناً يذكر الحكم المستنبط من الآية ، ثم بعد ذلك يستثني منه أحكاماً أخرى غير داخلة في الحكم الأول[٥].

جزء عم (ص٢٩٤)، وسورة العصر انظر : تفسير جزء عم (ص٣١٧)] .

[1] انظر : تفسير سورة آل عمران (٥٥/٢) الفائدة (٤، ٨) ، وتفسير سورة النساء (٢٤٨/١) الفائدة (٣، ٤) .

[2] انظر : تفسير سورة ص (ص١٣٧)، الفائدة (٦) .

[3] انظر : تفسير سورة البقرة (٣٩٣/٣) الفائدة (٨) ، وانظر : تفسير سورة البقرة (٨٧/٢) .

[4] انظر : تفسير سورة النساء (٩/٢) الفائدة (٨) ، وانظر أيضاً : تفسير سورة النساء (١٣٢/٢)، الفائدة (٢) ، تفسير سورة ص (ص١٧)، الفائدة (٣) .

[5] انظر : تفسير سورة البقرة (١٠١/٣)، الفائدة (٣) .

في القرآن[١] ، وفوائد التكرار في القرآن[٢] ، وعلم المناسبات[٣] ، وغير ذلك من الموضوعات[٤].

ومن الأمثلة على ذلك من تفسيره ما يلي :

١ ــ ما تكلم به حول المحكم والمتشابه حيث قال – عند تفسير قوله تعالى : ﴿**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات**﴾ [آل عمران: ٧] : "من فوائد الآية الكريمة : أن هذا القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه ، لقوله: ﴿**منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات**﴾، ومن فوائدها : وجوب الرجوع إلى المحكم إزاء المتشابه لقوله : ﴿**هن أم الكتاب**﴾ ، يعني مرجعه ، وهذا لا يختص بالقرآن، بل حتى في السنة إذا وجدت أحاديث متشابهة ، وأحاديث واضحة محكمة ، فالواجب رد المتشابه إلى المحكم ، ليكون الجميع محكماً ، سواء كان التشابه في مدلولات الألفاظ ، أو كان التشابه في ثبوت الخبر ، وهذا الأخير يختص بالسنة ، لأن القرآن ليس فيه اشتباه بالنسبة إلى ثبوته ، ومن فوائدها : حكمة الله عزّ وجل في جعل القرآن ينقسم إلى قسمين، ووجه الحكمة أنه بهذا يحصل الابتلاء والامتحان ، فالمؤمن لا يضل بهذا الانقسام ، والذي في قلبه زيغ يضل ، فكما أن الله يمتحن العباد بالأوامر والنواهي فهو يمتحنهم أيضاً بالأدلة، فيجعل هذا محكماً ، وهذا متشابهاً ، ليتبين المؤمن من غير المؤمن ، ولو كان القرآن كله محكماً لم يحصل الابتلاء ، ولو كان كله متشابهاً لمْ يحصل البيان ، والله سبحانه وتعالى جعل القرآن بياناً ، وجعله محكماً متشابهاً للاختبار والامتحان ، ومن فوائد الآية أن من علامة الزيغ أن يتبع الإنسان المتشابه من القرآن سواء اتبعه بالنسبة لتصوره فيما بينه وبين نفسه ، وصار يورد على نفسه آيات متشابهات .... ولهذا من الخطر

---

(١) الشيخ لا يرى وقوع المجاز في القرآن الكريم ، انظر تفسير سورة ص (ص٩١) الفائدة (٢) ، و(ص١٧٨) الفائدة (٤).

(٢) انظر : تفسير جزء عم (ص٣٢١-٣٢٤) .

(٣) انظر : تفسير سورة البقرة (٧٣/٢) الفائدة (٤)، تفسير سورة النساء (٤٥٠/١) الفائدة (١) ، وتفسير سورة يس (ص٩٨) الفائدة (١٥) .

(٤) مثال ذلك معاني القراءات ، انظر : تفسير سورة النساء (١٩/١) الفائدة (١٠)، والتجويد والسكتات ، انظر: تفسير سورة آل عمران (٤٩/٢) الفائدة (٢٤) .

في القرآن[١] ، وفوائد التكرار في القرآن[٢] ، وعلم المناسبات[٣] ، وغير ذلك من الموضوعات[٤].

ومن الأمثلة على ذلك من تفسيره ما يلي :

١ ــ ما تكلم به حول المحكم والمتشابه حيث قال – عند تفسير قوله تعالى : ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: ٧] : "من فوائد الآية الكريمة : أن هذا القرآن ينقسم إلى محكم ومتشابه ، لقوله: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾، ومن فوائدها : وجوب الرجوع إلى المحكم إزاء المتشابه لقوله : ﴿هن أم الكتاب﴾ ، يعني مرجعه ، وهذا لا يختص بالقرآن، بل حتى في السنة إذا وجدت أحاديث متشابهة ، وأحاديث واضحة محكمة ، فالواجب رد المتشابه إلى المحكم ، ليكون الجميع محكماً ، سواء كان التشابه في مدلولات الألفاظ ، أو كان التشابه في ثبوت الخبر ، وهذا الأخير يختص بالسنة ، لأن القرآن ليس فيه اشتباه بالنسبة إلى ثبوته ، ومن فوائدها : حكمة الله عزّ وجل في جعل القرآن ينقسم إلى قسمين، ووجه الحكمة أنه بهذا يحصل الابتلاء والامتحان ، فالمؤمن لا يضل بهذا الانقسام ، والذي في قلبه زيغ يضل ، فكما أن الله يمتحن العباد بالأوامر والنواهي فهو يمتحنهم أيضاً بالأدلة، فيجعل هذا محكماً ، وهذا متشابهاً ، ليتبين المؤمن من غير المؤمن ، ولو كان القرآن كله محكماً لم يحصل الابتلاء ، ولو كان كله متشابهاً لم يحصل البيان ، والله سبحانه وتعالى جعل القرآن بياناً ، وجعله محكماً متشابهاً للاختبار والامتحان ، ومن فوائد الآية أن من علامة الزيغ أن يتبع الإنسان المتشابه من القرآن سواء اتبعه بالنسبة لتصوره فيما بينه وبين نفسه ، وصار يورد على نفسه آيات متشابهات .... ولهذا من الخطر

---

(١) الشيخ لا يرى وقوع المجاز في القرآن الكريم ، انظر تفسير سورة ص (ص٩١) الفائدة (٢) ، و(ص١٧٨) الفائدة (٤).

(٢) انظر : تفسير جزء عم (ص٣٢١-٣٢٤) .

(٣) انظر : تفسير سورة البقرة (٧٣/٢) الفائدة (٤)، تفسير سورة النساء (٤٥٠/١) الفائدة (١) ، وتفسير سورة يس (ص٩٨) الفائدة (١٥) .

(٤) مثال ذلك معاني القراءات ، انظر : تفسير سورة النساء (١٩/١) الفائدة (١٠)، والتجويد والسكتات ، انظر: تفسير سورة آل عمران (٤٩/٢) الفائدة (٢٤) .

العظيم أن تورد – سواء للطلبة أو للعامة – آيات متشابهة دون أن تبين حل إشكالها، لأنك إذا فعلت هذا أوقعتهم في الحيرة والشك"[1].

٢ ــ ما تكلم به عن النسخ والرد على منكريه ، فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ [النساء: ٣٣]، من فوائد الآية الكريمة : وقوع النسخ في الشريعة ؛ لأن هذه الآية منسوخة إما نسخاً مطلقاً ، وإما نسخاً مقيداً ، وقد اختلف علماء الملة في النسخ ، فأكثر الأمة على أن النسخ ثابت في الشريعة ، لقوله تعالى : ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦]، ولقوله تعالى : ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا﴾ [البقرة: ١٨٧] إلى آخرها ، وقد كان قبل ذلك حراماً، ولقوله تعالى : ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا﴾ [الأنفال: ٦٦]، وهذا صريح في النسخ ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"[2]، وقال بعض العلماء ومنهم أبو مسلم الأصفهاني : لا نسخ في الشريعة ، وحمل النسخ على التخصيص ، وقال : إن مقتضى الحكم الأول استمراره إلى يوم القيامة، فإذا ألغي فهذا تخصيص في الزمن ، أي بعد أن كان شاملاً للزمن كله صار خاصاً بالزمن الذي قبل النسخ .

ولكن هذا تكلف ، وما الذي يجعلنا نفر من كلمة نسخ وهي موجودة بلفظها وموجودة بمعناها في القرآن ، وموجودة بمعناها في السنة .

وأنكر اليهود ، وقالوا : لا يمكن أن ينسخ الله حكماً بحكم ؛ لأنه إن كانت المصلحة في الحكم الثاني ، فلماذا كان الحكم الأول ، وإن كانت المصلحة في الحكم الأول ، فلماذا كان الحكم الثاني ، وإن كانت في الأول قد خفيت الحكمة على الله فهذا يستلزم وصف الله بالجهل ، وإذا لم تخفَ فهذا يستلزم وصف الله بالسفه والعياذ بالله ، لأنه فعل خلاف الحكمة ، فيقال لهم : المصلحة تختلف باختلاف الزمان والمكان والأمة ، وإذا كان كذلك

---

[1] انظر : تفسير سورة آل عمران (٤٤/١) الفائدة (٤ ، ٥ ، ٦) .

[2] أخرجه مسلم في الجنائز ، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه في زيارة أمه حديث (٢٢٦٠) (ص٣٩٢).

فالله عزّ وجل يثبت هذا الحكم ما دام فيه مصلحة للأمة ، وينسخه إذا كان ليس بمصلحة، وهذا غاية الحكمة ، وأنتم يا بني إسرائيل كان حالاً لكم اللحم ، وبظلمكم حرم الله عليكم طيبات أحلت لكم ، بعد أن كانت حلالاً ، ثم إن شريعتكم ناسخة للشريعة التي قبلها ، وإذا قلتم : لا نسخ لبطلتم شريعتكم ؛ لأنها تنسخ ما قبلها ، إذاً في الآية الكريمة ﴿الذين عقدت أيمانكم﴾ إثبات النسخ"[1].

٣ ــ كذلك من الموضوعات التي تكلم عليها واستنبطها من القرآن الكريم : الإعجاز، وعندما يطلق الإعجاز فإنه يشمل الإعجاز العلمي التجريبي الكوني ، والإعجاز التشريعي، والإعجاز البياني، هذه ثلاثة أنواع للإعجاز ، وسيكون حديثي حول الإعجاز التجريبي الكوني ؛ لأني وجدت أن العثيمين قد أطال في ذلك واهتم به اهتماماً كبيراً، ويمكن تقسيم منهجه في ذلك إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : تشنيعه على الذين يخضعون نصوص القرآن على ما يحدث من اختراعات واكتشافات ، فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿الذين قالوا لأخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ [آل عمران: ١٦٨] : "من فوائد الآية الكريمة أنه لا يمكن درء الموت ، لأن ما وقع التحدي به فإنه لا يمكن وقوعه ، إذ لو أمكن وقوعه لم يكن للتحدي به فائدة ، ومن هنا نعرف أن قوله تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ [الرحمن : ٣٣] ، لا يصلح تنـزيله على وصول الناس الآن إلى أعماق الفضاء والكواكب كما زعم بعضهم عندما وصل الناس إلى القمر وحطوا به ، قالوا: إن هذا دلّ عليه القرآن ، لأن الله قال : ﴿لا تنفذون إلا بسلطان﴾، والسلطان هو العلم ، فهؤلاء أوتوا علماً حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، فالقرآن شاهد لذلك ، ولكن هذا للتحدي بدليل أن الله تعالى قال : ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦]، ﴿يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ [الرحمن: ٢٩]، ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا

---

(١) انظر : تفسير سورة النساء (٢٨٤/١) الفائدة (٥)، وانظر الكلام حول النسخ أيضاً : تفسير سورة آل عمران (٢٩٩/١) الفائدة (٢)، وتفسير سورة النساء (٧/٢) الفائدة (٣) .

بسلطان﴾ [الرحمن: ٣٣]، **﴿يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾** [الرحمن: ٣٥]، **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾** [الرحمن: ٣٧]، وهذا كله يدل على أن المراد بذلك التحدي يكون يوم القيامة وليس هو في الدنيا ، ولهذا نقول : هؤلاء لو نفذوا من أقطار الأرض ، لم ينفذوا من أقطار السموات ، والآية فيها تحدٍّ في هذا وهذا ، المهم أنه لا ينبغي أن نخضع نصوص القرآن من أجل أن نقول إنها دالة على ما حدث أو ما يحدث ، بل نقول : ما حدث أو يحدث إذا قامت البراهين على صدقه فإنه لا يحتاج أن نقحمه في دلالة القرآن ، بل نقول: هذا شيء وقع ، وهذا شيء شهد به كل الناس ، فهو صحيح، ولو كنا نقحم كل ما حدث من العلوم في الوقت الحاضر في القرآن ، لكنا نحمل القرآن ما لا يحتمل ، وليعلم أن تفسير القرآن تعبير عن مراد الله ، فمن فسّره في غير ما يظهر من مراده ، فهو كاذب على الله مفترٍ عليه، وليس الكذب على الله كالكذب على الناس ، فليحذر من هذه المسألة"[1].

القسم الثاني : موافقته لبعض النظريات العلمية كإمكانية الوصول إلى القمر ، وكروية الأرض ، مثال ذلك :

ما ذكره عند قوله تعالى : **﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما ، فليرتقوا في الأسباب﴾** [ص: ١٠] ، حيث قال رحمه الله :

"ومن فوائد هذه الآية : أن بعض العلماء أخذ منها أنه لا يمكن الوصول إلى القمر، لأن الله قال : **﴿فليرتقوا في الأسباب﴾** ، ثم قال : **﴿جند ما هنالك مهزوم﴾** ، ومعلوم أن القمر في السماء ، فإذا كان هؤلاء الذين يحاولون أن يرتقوا في الأسباب إلى السماء ، جنداً حقيرين مهزومين ، فإنه لا يمكن أن يصلوا إلى القمر ، فهل يمكن أن يؤخذ هذا من هذه الآية ؟ ظاهر الآية أنه ممكن أن نأخذ من هذه الآية دليلاً على أن الناس يصلون إلى القمر ، إذا كان هذا ظاهر الآية فمعناه أن الآية دلت على إمكان الوصول إلى القمر ، وهذا عكس ما استدل به بعض الناس ، والحقيقة أنه لا يمكن أن يكون فيها دليل على الامتناع من الوصول إلى القمر ، لأن القمر في السماء ، التي بمعنى العلو ، وليس في

---

[1] انظر : تفسير سورة آل عمران (٢/٤٣٢) الفائدة (٥) .

السماء التي جعلت سقفاً محفوظاً ، وهذا أمر مؤكد لا يختلف فيه اثنان ، وإذا كان السحاب في السماء ، ويطلق عليه سماء ، كما قال تعالى : ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧]، والناس الآن يصعدون فوق السماء الذي هو السحاب، كثير منكم ركب الطائرة وهي فوق السحاب ، والسحاب تحتها، فكذلك القمر في السماء ، قال الله تعالى : ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا﴾ [الفرقان: ٦١]، فلا شك أن القمر في السماء ، ولكن هل هو في السماء التي هي السقف المحفوظ الذي لا يدخل إليه أشرف الملائكة وأشرف البشر إلا باستئذان؟ لا ، قطعاً ، بل هو تحته بكثير ، إذن نقول : إنه ليس في الآية دليل على استحالة الوصول إلى القمر ، كما أنه ليس فيه دليل على إمكان الوصول إلى القمر، ويترك هذا الأمر للواقع ، فإذا صح أنهم وصلوا إلى القمر فإن الشرع لم يقل باستحالة ذلك، وإذا لم يصح فإن الشرع لا يثبته ، فإذا قالوا: وصلنا إلى القمر وثبت ذلك، قلنا: الحمد لله، هذا لا يعارض شرعنا ، لا يعارض كتاب الله ولا سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ ومعلوم أن القمر تحت النجوم ، والنجوم قال الله فيها: ﴿ولقد زيّنا السماء الدُّنيا بمصابيح﴾ [الملك: ٥]، لكن القمر تحتها، وأنا وغيري شاهدنا أن القمر حجب النجوم، وأنا شاهدت ذلك بعيني ، كان القمر يساير النجمة التي تسمى نجمة الصباح ، ومعروف أن القمر يتأخر فإذا بها تختفي ، لم نعد نشاهدها ، فصار كما لو جاءت سحابة فحالت بيننا وبين القمر ، وحدثني من أثق به ، قال: إن هذا قد يقع أحياناً ونشاهده. إذاً القمر ليس في السماء التي هي السقف المحفوظ ، فإذا ثبت أنهم وصلوا إليه فلا غرابة في ذلك، إذاً ليس في الآية دليل على انتفاء الوصول إلى القمر"[1].

ومن فوائد الآية : أن الأرض كروية ، لأنه لما أثبت أنها تتوارى بالحجاب ، دلّ على أن الأرض هي التي تحجبها ، وهي كما نشاهد تنـزل شيئاً فشيئاً حتى تكون في الأرض فيدل ذلك على أن الأرض كروية، وهذا أيضاً أمر مقطوع به ولا إشكال فيه، فهو ظاهر من القرآن ، وظاهر في الواقع ، ففي القرآن يقول الله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت، وأذنت لربها وحُقّت ، وإذا الأرض مُدّت ، وألقت ما فيها وتخلّت﴾ [الانشقاق: ١-٤]، ﴿وأذنت لربها وحقّت﴾، وذلك يكون يوم القيامة ، فقوله : ﴿وإذا الأرض مدّت﴾، يدل على أنها قبل

---

(١) انظر : تفسيره سورة ص (ص٥٦-٥٧) الفائدة (٩) .

هذا ليست ممدودة ، بل هي كروية ، وهذا لا يعارض قوله تعالى : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، لأن سطحها باعتبار المشاهدة، فأنت الآن إذا وقفت على الأرض تجدها مستوية إلى مد البصر"[1].

القسم الثالث : رده على بعض النظريات العلمية ومخالفته لها، كمن يقول : إن الشمس في السماء الرابعة ، والقمر في السماء الدنيا ، وكذلك مسألة دوران الأرض وثبوت الشمس .

يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠] : "ومن فوائدها : ضعف قول من يقول : إن الشمس في السماء الرابعة والقمر في السماء الدنيا، فيجعلون الكواكب والشمس والقمر كواكب معينة في كل سماء كوكب ، على هذا الترتيب من الأعلى للأدنى، زحل ، المشتري ، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر، هذه سبعة، يقولون كل واحد في سماء ، "زحل" هو أعلاها في السماء السابعة – على كلام السابقين من علماء الفلك – ، "المشتري" في السماء السادسة، "المريخ" في السماء الخامسة، "الشمس" في السماء الرابعة، "الزهرة" في السماء الثالثة، "عطارد" في السماء الثانية، "القمر" في السماء الدنيا، وهذا الترتيب لا نعلمه من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أن هذه الكواكب بعضها فوق بعض بالكسوف ، فإذا كان القمر يكسف الشمس عرفنا أنه تحتها ، كما نعرف أن الغيم تحت الشمس لأنه يحجبها، فإذا كسف القمر شيئاً من النجوم عرفنا أنه تحتها ، ولهذا القمر يكسف كل النجوم، والشمس، ولا شيء يكسفه منهما إلا الأرض ، لأن الأرض تحته، فتحجب نور الشمس عنه، فحينئذ ينكسف القمر ، وقد شاهدت أنا وغيري أن القمر يكسف بعض النجوم، تجري يسير حولها ثم يغطيها ، وهذا يدل على أن القمر نازل عن علو هذه الكواكب"[2].

---

(1) انظر : تفسير سورة ص (١٥٧-١٥٩) الفائدة (١٢، ١٣، ١٤) .

(2) انظر : تفسير سورة يس (ص١٤٩) الفائدة (٥) .

هذا ليست ممدودة ، بل هي كروية ، وهذا لا يعارض قوله تعالى : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، لأن سطحها باعتبار المشاهدة، فأنت الآن إذا وقفت على الأرض تجدها مستوية إلى مد البصر"[1].

القسم الثالث : رده على بعض النظريات العلمية ومخالفته لها، كمن يقول : إن الشمس في السماء الرابعة ، والقمر في السماء الدنيا ، وكذلك مسألة دوران الأرض وثبوت الشمس .

يقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠] : "ومن فوائدها : ضعف قول من يقول : إن الشمس في السماء الرابعة والقمر في السماء الدنيا، فيجعلون الكواكب والشمس والقمر كواكب معينة في كل سماء كوكب ، على هذا الترتيب من الأعلى للأدنى، زحل ، المشتري ، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر، هذه سبعة، يقولون كل واحد في سماء ، "زحل" هو أعلاها في السماء السابعة – على كلام السابقين من علماء الفلك – ، "المشتري" في السماء السادسة، "المريخ" في السماء الخامسة، "الشمس" في السماء الرابعة، "الزهرة" في السماء الثالثة، "عطارد" في السماء الثانية، "القمر" في السماء الدنيا، وهذا الترتيب لا نعلمه من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أن هذه الكواكب بعضها فوق بعض بالكسوف ، فإذا كان القمر يكسف الشمس عرفنا أنه تحتها ، كما نعرف أن الغيم تحت الشمس لأنه يحجبها، فإذا كسف القمر شيئاً من النجوم عرفنا أنه تحتها ، ولهذا القمر يكسف كل النجوم، والشمس، ولا شيء يكسفه منهما إلا الأرض ، لأن الأرض تحته، فتحجب نور الشمس عنه، فحينئذ ينكسف القمر ، وقد شاهدت أنا وغيري أن القمر يكسف بعض النجوم، تجري يسير حولها ثم يغطيها ، وهذا يدل على أن القمر نازل عن علو هذه الكواكب"[2].

---

[1] انظر : تفسير سورة ص (١٥٧-١٥٩) الفائدة (١٢، ١٣، ١٤) .

[2] انظر : تفسير سورة يس (ص١٤٩) الفائدة (٥) .

ومن فوائد الآية الكريمة : الرد على قول من يقول إن الشمس ثابتة ، وأنها لا تدور، والعجب أنهم يقولون إنها ثابتة وأن القمر يدور على الأرض ، وهذا غلط ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل الحكم واحداً ، قال : ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠]، فإذا فسرنا السبح بالدوران ، وأثبتنا ذلك للقمر فلنثبته أيضاً للشمس[1].

وقال في موضع آخر عند تفسير قوله تعالى : ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾ [ص: ٣٢] :

"إثبات أن الشمس هي التي تدور على الأرض في طلوعها وغروبها ، لأنه أضاف الفعل إليها ، فقال : ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ ، ولوكان الأمر كما يقول أهل الجغرافيا اليوم : أن الأرض هي التي تدور حول وتحتجب الشمس بسبب دورانها لقال: (حتى توارينا بالحجاب) ، أو (حتى توارى بالحجاب) ؛ لأنه إذا كانت أنت الذي تدور ، ومقابلك ثابت ، فالذي يتوارى هو الدائر ، فإذا كان الله تعالى أثبت أن التواري للشمس دلّ هذا على أنها هي التي تدور"[2].

المطلب الثاني : استنباطات في السنة وعلومها .

تعرف السنة في اصطلاح المحدثين بأنها : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية ، سواء كان قبل البعثة أم بعدها[3].

ومن الأمثلة على اهتمامه رحمه الله بهذا النوع من الاستنباط ما يلي :

١ ــ قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : الرد على من قال إن السنة لا يعمل بها إلا ما وافق القرآن ، وجهه أن الله قال : ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ [آل عمران: ٣٢]، ومن المعلوم لو قلنا : إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يطاع إلا فيما أمر الله به لم يكن للأمر بطاعته فائدة ، لأن كل من أمر بما أمر الله به فإنه مطاع لا لأمره ، ولكن

---

(1) انظر : تفسير سورة يس (ص١٥٠) الفائدة (٦) .

(2) انظر : تفسير سورة ص (ص١٥٧) الفائدة (١٣) .

(3) انظر : لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث لعبدالفتاح أبو غدة (ص١١) .

لأمر الله ، فطاعة أمر الرسول طاعة مستقلة ، على أننا نقول : إن الذي يقول إنه لا يعمل بالسنة إلا ما وافق القرآن متناقض[1] ، وجهه أن قوله : إلا ما وافق القرآن يرد عليه بأنه ليس في السنة ما يخالف القرآن ، لأن القرآن أمر بالعمل بالسنة ، فالعمل بها موافقة للقرآن، وليس بمخالفة»[1].

٢ ـ قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠]، من فوائد الآية الكريمة :

أ ـ أن الأصل فيما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أنه شرع لعموم قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، وينبني على ذلك أننا لو شككنا فيما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام أو قاله هل هو شرع أو نسيان ، فنحمله على أنه شرع ، ومن ذلك أنه قرأ سورة الزلزلة في صلاة الفجر في الركعتين ، قال الراوي: "فلا أدري أنسي أم كان على علم»[2]، فنقول إذا قلنا إن الأصل أن ما فعله فهو شرع يكون هذا على الاحتمال غير وارد ، وإن ورد عقلاً فهو ضعيف شرعاً ، ونقول : الأصل أن ما فعله فهو شرع وليس نسيان .

ب ـ الاحتجاج بالسنة ، وأنها كالقرآن في وجوب العمل بها ، ولكن نحتاج في السنة إلى إثبات نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه ما دام أنها لم تثبت فإنها ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم .

ج ـ جواز نسخ القرآن بالسنة ، وجواز تخصيص القرآن بالسنة ، أما الثاني فمحل اتفاق ، وهو : أن السنة تخصص القرآن ، وأما الأول فمختلف فيه ، والصواب : أن القرآن يُنسخ بالسنة إذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الآن لم نجد مثالاً يسلم من المعارضة ، لكن من حيث النظر نقول : إن نسخ القرآن بالسنة ثابت»[3].

---

[1] انظر : تفسير سورة آل عمران (٢٠١/١) الفائدة (٣) .

[2] أخرجه أبو داود في الصلاة ، باب الرجل يعيد سورة واحدة في الركعتين ، حديث (٨١٦) (ص١٢٦)، قال الألباني : حديث حسن ، انظر : صحيح سنن أبي داود (٢٣٠/١) .

[3] انظر : تفسير سورة النساء (٧/٢)، الفائدة (١ ، ٢ ، ٣) .

المطلب الثالث : استنباطات في العقيدة .

إن من الموضوعات التي استنبطها العثيمين في تفسيره ما يتعلق بأمور العقيدة ، ومسائل الاعتقاد ، فقد تعرض لعدد من الموضوعات في هذا العلم ، كالتوحيد وفضيلته وأهميته، والاستدلال لأنواعه الثلاثة ، الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والرد على المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد ، ومسألة زيادة الإيمان ونقصانه ، ومسألة وجود النار والخلود فيها ، ووجود الجنة والخلود فيها ، والتطير وأفعال العباد هل هي مخلوقة أم لا؟! إلى غير ذلك من المواضيع في هذا الباب[1] ، إضافة إلى ذلك أنه كان كثيراً ما يستدل بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) على ما يقوله ويقرره.

ومن الأمثلة على ذلك :

١ ـ ما ذكره عند تفسير قوله تعالى : **﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموتُ فقال لبنيه ما تعبدون من بعدي ، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾** [البقرة: ١٣٣] ، حيث قال :

"إن التوحيد وصية الأنبياء ، لقوله تعالى : **﴿ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك﴾**، ومنها أهمية التوحيد والعناية به ، لقوله تعالى : **﴿تعبدون من بعدي﴾**، ومنها أن العبادة والألوهية معناهما واحد، لكن العبادة باعتبار العابد ، والألوهية باعتبار المعبود، ولهذا كان أهل العلم يسمون التوحيد توحيد العبادة ، وبعضهم يقول: توحيد الألوهية"[2].

٢ ـ قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : **﴿يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً﴾** [النساء : ١٧٠] : "من فوائد الآية الكريمة إثبات الربوبية العامة ، لقوله: **﴿يا أيها الناس﴾** ، بالإضافة إلى قوله: **﴿من ربكم﴾**، وربوبية الله سبحانه وتعالى عامة

---

[1] كالإيمان بالملائكة ، والإيمان بالرسل ، والرد على عقائد اليهود والنصارى ، ومسألة الكبائر والصغائر .

[2] انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٧٩) الفائدة (١ ، ٨ ، ٩) .

وخاصة ، فالعامة ، كقوله تعالى : ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢]، والخاصة ، كقوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وقوله : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، وقوله: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ [النساء: ٦٥]، والأمثلة على ذلك كثيرة"[1] .

٣ ــ قال رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾ [النساء: ١٧١]: "من فوائد الآية الكريمة : انفراد الله تعالى بالألوهية في قوله : ﴿إنما الله إله واحد﴾ ، فقوله: "إنما الله إله" دلت على الحصر ، وهو أن الله تعالى هو الإله وحده ، لكن قوله "واحد" يكون زيادة تأكيد"[2].

٤ ــ وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ [البقرة: ٢١٠] :

"ومنها – أي من فوائد الآية – إثبات إتيان الله عز وجل يوم القيامة للفصل بين عباده، وهو إتيان حقيقي يليق بجلاله ، لا تُعلم كيفيته ولا يُسأل عنها كسائر صفاته، قال الإمام مالك رحمه الله ، وقد سئل عن قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] : كيف استوى؟ فقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، هذا وقد ذهب أهل التعطيل إلى أن المراد بإتيان الله : إتيان أمره، وهذا تحريف للكلم عن مواضعه ، وصرف للكلام عن ظاهره بلا دليل ، إلا ما زعموه دليلاً عقلياً ، وهو في الحقيقة وهمي، وليس عقلياً، فنحن نقول : الذي نسب فعل الإتيان إليه هو الله عزّ وجل ، وهو أعلم بنفسه ، وهو يريد أن يبين لعباده كما قال تعالى: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦] ..... إلخ"[3].

٥ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾ [النساء: ٣٧]، قال رحمه الله : "ومن فوائد الآية الكريمة إثبات وجود النار ، ويؤخذ من قوله : ﴿واعتدنا﴾

---

(1) انظر : تفسير سورة النساء (٥٠٢/٢) الفائدة (٥) .

(2) انظر : تفسير سورة النساء (٥١٧/٢) ، الفائدة (١٤) .

(3) انظر : تفسير سورة البقرة (١٥/٣) الفائدة (٣) .

بمعنى هيأنا، إذاً فالنار وعذاب الكافرين مهيأ الآن ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن النار والجنة موجودتان الآن ، وأنهما لا تفنيان»[1].

٦ ــ وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة، وندخلهم ظلاً ظليلا﴾ [النساء : ٥٧]: "إن أهل الجنة مخلدون فيها أبداً ، لقوله: ﴿خالدين فيها أبداً﴾ ، وقد أجمع أهل الملة على أن نعيم الجنة دائم أبداً ، وكذلك جمهور أهل السنة على أن عذاب أهل النار دائم أبداً»[2].

المطلب الرابع : استنباطات في الفقه وأصوله .

سيكون حديثي في هذا المطلب على جانبين : الجانب الأول : الفقه ، والجانب الثاني: أصول الفقه .

أما الجانب الأول : الفقه .

فقد عرف العثيمين الفقه بأنه : معرفة الأحكام الشرعية العمليّة بأدلتها التفصيليّة[3].

وقد تنوعت الأحكام الفقهية التي استنبطها العثيمين من القرآن الكريم ، ولا أبالغ عندما أقول أنه تعرض لأغلب كتب وأبواب الفقه في الفوائد المستنبطة من القرآن الكريم، فقد تعرض للطهارة ونواقض الوضوء[4] ، وللصلاة[5] ، وللصيام[6]، وللحج[7]،

---

(1) انظر : تفسير سورة النساء (٣٢٠/١) الفائدة (٧) .

(2) انظر : تفسير سورة النساء (٤٣٧/١) الفائدة (٧) .

(3) انظر : الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٥/١) .

(4) انظر : تفسير سورة النساء (٣٥٤/١) الفائدة (١٤) .

(5) انظر : تفسير سورة النساء (١٤٧/٢) الفائدة (٢) .

(6) انظر : الفوائد المستنبطة من تفسيره الآيات (١٨٣-١٨٧) من سورة البقرة (٣١٥/٢-٣٦٣) .

(7) انظر : الفوائد المستنبطة من تفسيره الآيات (١٩٦-٢٠١) من سورة البقرة (٣٩٢/٢-٤٣٥) .

والبيوع[1]، وأحكام المواريث[2]، والقضاء والدعاوى والبينات[3].

إضافة إلى استنباطه للقواعد الفقهية ، إلى غير ذلك من كتب وأبواب الفقه المبثوثة في الفوائد المستنبطة في تفسيره للقرآن الكريم .

هذا وإن كان العثيمين حنبلي النـــزعة إلا أنه ومع ذلك فقد كان يستنبط من الأحكام الفقية ما يصلح دليلاً أو تعليلاً للمذاهب الأخرى.

ـ مثال ذلك ما ذكره عند قوله تعالى : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، قال رحمه الله:

"ومن فوائد الآية: إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم؛ وهي: لا واجب مع العجز؛ ولا محرم مع الضرورة ؛ لكن إن كان الواجب المعجوز عنه له بدل وجب الانتقال إلى بدله؛ فإن لم يكن له بدل سقط؛ وإن عجز عن بدله سقط؛ مثال ذلك: إذا عجز عن الطهارة بالماء سقط عنه وجوب التطهر بالماء؛ لكن ينتقل إلى التيمم؛ فإن عجز سقط التيمم أيضاً – مثال ذلك: شخص محبوس مكبل لا يستطيع أن يتوضأ، ولا أن يتيمم: فإنه يصلي بلا وضوء، ولا تيمم؛ مثال آخر: رجل قتل نفساً معصومة خطأ: فعليه أن يعتق رقبة؛ فإن لم يجد فعليه أن يصوم شهرين متتابعين؛ فإن لم يستطع سقطت الكفارة؛ مثال ثالث: رجل جامع زوجته في نهار رمضان: فعليه أن يعتق رقبة؛ فإن لم يجد فعليه صيام شهرين؛ فإن لم يستطع فعليه إطعام ستين مسكيناً؛ فإن لم يجد فلا شيء عليه.

ومثال سقوط التحريم مع الضرورة: رجل اضطر إلى أكل الميتة بحيث لا يجد ما يسد رمقه سوى هذه الميتة: فإنه يحل له أكلها؛ وهل له أن يشبع؛ أو يقتصر على ما تبقى

---

(1) انظر : الفوائد المستنبطة من تفسيره الآيات (٢٧٥-٢٨٣) من سورة البقرة (٣/٣٧٣-٤٣٢) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٧٩)، الفائدة (٤) ، وتفسير سورة النساء (١/٨٥) الفائدة (٩، ١٠، ١١) .

(3) انظر : تفسير سورة النساء (١/٢٤٣) الفائدة (٧) ، و(٢/١٩٣) الفائدة (٣) ، وتفسير سورة ص (ص١١٤-١١٥) الفوائد جميعها .

به حياته؟

الخلاصة الآن: أخذنا من هذه الآية الكريمة: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ قاعدتين متفقاً عليهما؛ وهما:

أ - لا واجب مع العجز .

ب - ولا محرم مع الضرورة "[1].

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٤٤]، قال رحمه الله : "ومنها - أي من فوائد الآية الكريمة - ما استدل به المالكية على أنه ينبغي للمصلي أن ينظر تلقاء وجهه ، لقوله تعالى : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ، فإنا ولى الإنسان وجهه شطر المسجد الحرام فسيكون نظره تلقاء وجهه غالباً"[2].

ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] قال رحمه الله: "ومن فوائد الآية : أن الظاهرية استدلوا بها على أن من صام في السفر لم يجزئه ، لقوله تعالى: ﴿فعدة من أيام أخر﴾، فأوجب الله سبحانه وتعالى على المريض والمسافر عدة من أيام أخر ، فمن صام وهو مريض أو مسافر كمن صام قبل دخول رمضان ؛ وقالوا: إن الآية ليست فيها شيء محذوف ، وهذا القول لولا أن السنة بينت جواز الصوم لكان له وجه قوي لأن الأصل عدم الحذف"[3].

وأما الجانب الثاني : وهو أصول الفقه .

فقد عرفه العثيمين بقوله : "علم يبحث عن أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد" [4].

---

(1) انظر : تفسيره سورة البقرة (٣/٤٥٣-٤٥٥) الفائدة (٢) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/١٢٦) الفائدة (٩) .

(3) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٣٢٨) الفائدة (٩) .

(4) انظر : الأصول من علم الأصول (ص٨) .

وقد تطرق العثيمين في استنباطاته من القرآن الكريم لعدد من مسائل أصول الفقه، كـ"هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟"[١]، والإجماع[٢]، والقياس[٣]، والعرف[٤]، والتقليد[٥]، والعمل بالقرائن[٦]، والعذر بالجهل[٧]، وشرع من قبلنا[٨].

إضافة إلى قواعد أصول الفقه التي امتاز العثيمين في استنباطها من خلال تفسيره للقرآن الكريم ، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

١ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ [البقرة: ١٦٨] قال رحمه الله : "الفوائد: ومنها : أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس﴾، وهم داخلون في هذا الخطاب ، ومخاطبتهم بفروع الشريعة هو القول الصحيح ، ولكن ليس معنى خطابهم بها أنهم ملزمون بها في حال الكفر ؛ لأننا ندعوهم أولاً إلى الإسلام ، ثم نلزمهم بأحكامه ، وليس معنى كونهم مخاطبين بها أنهم يؤمون بقضائها ، والدليل على الأول قوله تعالى : ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله﴾ [التوبة: ٥٤]، فكيف نلزمهم بأمر لا ينفعهم ، هذا عبث ، وظلم، وأما الدليل على الثاني ، فقوله تعالى : ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] ؛ ولهذا لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحداً ممن أسلم بقضاء ما فاته من الواجبات حال كفره ، والفائدة من قولنا : إنهم مخاطبون بها – كما قال أهل العلم – زيادة عقوبتهم في الآخرة ، وهذا يدل

---

[1] انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٢٣٥) الفائدة (٣) .

[2] انظر : تفسير سورة النساء (٢/٢٢٨) الفائدة (٢٢٨) .

[3] انظر : تفسير سورة البقرة (٣/٣٢٣) الفائدة (١١)، (٣/٣٢٩) الفائدة (٨) ، تفسير سورة آل عمران (١/٢٣٧) الفائدة (٢)، تفسير سورة يس (ص١٤٣) الفائدة (٢) .

[4] انظر : تفسير سورة النساء (١/١٥٦) الفائدة (١٠) .

[5] انظر : تفسير سورة النساء (١/٤٥٦) الفائدة (١٢) .

[6] انظر : تفسير سورة النساء (٢/٢٨٩) الفائدة (٣) .

[7] انظر : تفسير سورة النساء (٢/٤١٨) الفائدة (١٦)، (٢/٨٥) الفائدة (٥) .

[8] انظر : تفسير سورة النساء (٢/٤٢٥) الفائدة (٣) .

عليه قوله تعالى : ﴿إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين﴾ [المدثر : ٣٩-٤٧]"[1].

٢ ــ مثال آخر : عند تفسير قوله تعالى : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ [النساء: ١١٥] ، قال رحمه الله : "ومن فوائد الآية : الاحتجاج بالإجماع لقوله : ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ فإنه يستدل بذلك على أن سبيل المؤمنين حق ، وهو كذلك ، يعني: أن الأمة إذا أجمعت على شيء فإنه حق ، ولا يمكن لهذه الأمة التي اختارها الله عزّ وجل وجعلها شهيدة على الناس كما قال : ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] وهي تشهد على أفعالهم وعلى أحكام أفعالهم، لا يمكن أن يقال : إن إجماعها ضلال أبداً، بل إجماعها على الشيء حق ، ولكن الذي يبقى هو تحقيق الإجماع، فهذا هو المشكل، لأنك أحياناً ترى من العلماء الأجلاء من ينقل الإجماع، والخلاف قائم موجود، وبعض العلماء – عفا الله عنهم – لا يقول لا أعلم مخالفاً ، إذ لو قال كذا لكان معذوراً ، لكنه يقول: بالإجماع ، أو أجمعوا على كذا ، بينما الخلاف موجود بكثرة"[2].

٣ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا، والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [البقرة: ١٦٤]، قال رحمه الله : "إثبات كون القياس دليلاً صحيحاً ، وجه ذلك: التمثيل والتشبيه ، فكل تمثيل في القرآن فإنه دليل على القياس ، لأن المقصود به نقل حكم هذا المشبه به إلى المشبه"[3].

٤ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ [النساء: ١٥٤] ،

---

[1] انظر : تفسير سورة البقرة (١٣٥/٢) الفائدة (٣) .

[2] انظر : تفسير سورة النساء (٢٢٨/٢) الفائدة (٥) .

[3] انظر : تفسير سورة البقرة (٣٢٣/٣) الفائدة (١١) .

قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : أنه يشرع عند فتح البلاد صلاة الفتح، لقوله : ﴿ادخلوا الباب سجداً﴾ ويمكن أن يؤخذ هذا على أساس أنه شرع من قبلنا شرع لنا ، إذا لم يرد شرعنا بخلافه ، وقد قيل : إن شرعنا ورد بوفاقه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة صلى ثماني ركعات ضحى في بيت أم هانئ ، فقال بعض العلماء: إن هذه صلاة الضحى ، وقال آخرون : إنها صلى الفتح ، لأنه ليس من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلي الضحى ثمان ركعات ، فتكون هذه صلاة الفتح ، وأخذ بها بعض الخلفاء ، فكانوا إذا فتحوا المدينة صلوا صلاة الفتح ، وما أقرب هذا القول من الصواب أن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم الضحى حين فتح مكة صلاة فتح شكراً لله عزّ وجل على ما أنعم به من الفتح ، ولا سيما إذا كان الفتح فتح عاصمة ، فإن بني إسرائيل فتحوا بيت المقدس ، ومحمد صلى الله عليه وسلم فتح أم القرى عاصمة القرى كلها"[1].

٥ ـ عند تفسير قوله تعالى : ﴿**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**﴾ [البقرة : ٢٢٩] ، قال رحمه الله : "من فوائد الآية : أن للوسائل أحكام المقاصد ، يؤخذ من ذلك جواز أخذ الإنسان من امرأته ما آتاها ، أو بعضه إذا خيفت المفسدة في البقاء على الزوجية ، ومنها – أي من الفوائد – اعتبار المفاسد وسلوك الأهون لدفع الأشد ، لأن الأخذ من مال الزوجة محرم بلا شك ، كما قال تعالى ، لكن إذا أريد به دفع ما هو أعظم من تضييع حدود الله عزّ وجل صار ذلك جائزاً، وهذه القاعدة لها أصل في الشريعة من قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فإن سب آلهة المشركين واجب ، ولكن إذا كان يخشى من ذلك أن يسبوا الله عدواً بغير علم صار سب آلهتهم ممنوعاً"[2].

---

[1] انظر : تفسير سورة النساء (٤٢٦/٢) الفائدة (٣) .

[2] انظر : تفسير سورة البقرة (١١٢/٣) الفائدة (١٠، ١١) .

المطلب الخامس : الاستنباطات اللغوية والبلاغية .

بيّن العثيمين في معرض ذكره للفوائد المستنبطة من القرآن الكريم أهمية تعلم اللغة العربية ، فقال رحمه الله : "إنه يجب على من لم يعرف اللغة العربية أن يتعلمها ليتوصل إلى الاستفادة من القرآن ، لقوله : ﴿برهان من ربكم﴾ [النساء : ١٧٤]، ومن المعلوم أن تلاوته على رجل أعجمي لا تفيده ، كما قال تعالى : ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء : ١٩٨-١٩٩]، لأنهم لا يعرفونه ولا يتذوقون طعمه"[١].

وتكلم رحمه الله عن بلاغة القرآن وأنه أعلى الكلام ، فقال رحمه الله : "قوة التعبير القرآني ، وأنه أعلى أنواع الكلام في الكمال ، ولهذا قال : ﴿حب الشهوات﴾ [آل عمران: ١٤]، ولم يقل : "حب النساء" ، أو "حب البنين" ، أو "حب القناطير المقنطرة"، بل قال : ﴿حب الشهوات﴾ من هذه الأشياء ، فسلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء ؛ لأن هذه الأشياء حبها قد يكون محموداً"[٢].

وقال رحمه الله : "بلاغة القرآن وحكمة القرآن ، بلاغته في الإتيان بالمعاني متقابلة، لأن الإتيان بالمعاني المتقابلة يوجب نشاط الإنسان ، حيث ينتقل الذهن من معنى إلى ما يقابله، فيزداد نشاطاً وشغفاً، وأما من جهة كمال البلاغة ، فلأن المعاني إذا تنوعت على وجوه التقابل ازداد اللفظ حسناً، وهذا معروف عند علماء البلاغة باسم علم البديع، وفيه أيضاً تربية النفس، لأن النفس إذا سمعت عقاب الكافرين خافت ووجلت وربما يستولي عليها اليأس ، فإذا جاء ثواب المؤمنين طمعت ورجت فصار سيرها إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء"[٣].

---

(1) انظر : سورة النساء (٢/٥٣٠) الفائدة (٢) .

(2) انظر : تفسير سورة آل عمران (١/٩٢) الفائدة (٣) .

(3) انظر : تفسير سورة آل عمران (١/٣٤٦) الفائدة (٧) .

ومن الأمثلة على اهتمامه بالاستنباطات النحوية ما يلي :

قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله﴾ [النساء : ١٧٥] : "فائدة نحوية : أن الإنسان إذا اشتهر بلقبه فلا بأس أن يقدم على اسم العلم ، لأنه قدم المسيح ، وإلا فالأصل أن يقدم الاسم أولاً ثم اللقب ثم الكنية ، لكن إذا اشتهر باللقب فإنه يقدم ، مثل أن تقول الإمام أحمد بن حنبل ، أو أحمد ابن حنبل الإمام ، فالأول مقدم لأنه مشتهر به"[١].

مثال آخر: عند تفسير قوله تعالى : ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم﴾ [يس: ٨١] ، قال رحمه الله : "في هذه فائدة نحوية، وهي: أن جواب الاستفهام المفرد بالنفي إذا أريد إثباته يقال فيه : "بلى"، ولا يقال: "نعم"، لأنك لو أجبت بنعم لكان ذلك تقريراً لنفي المنفي ، مثاله: لو قلت أليس زيد بقائم؟ فقلت: نعم ، يعني قررت النفي ليس بقائم ، فإن قلت : بلى ، فقد أثبت القيام"[٢].

المطلب السادس : استنباطات في السياسة الشرعية .

المراد بالسياسة باللغة : بمعنى التدبير والإصلاح والتربية [٣].

قال الأزهري (ت ٣٧٠) : "السياسة فعل السائس ، يقال : هو يسوس الدوابّ إذا قام عليها وراضها ، والوالي يسوس رعيته"[٤].

وقال ابن منظور : (ت ٧١١) : "ساس الأمر سياسة قام به ، ورجل ساسٌ من ساسة وسوّاس ، وسوسة القوم جعلوه يسوسهم ، والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة فعل السائس"[٥].

---

(1) انظر : تفسير سورة النساء (٤٤٣/٢) الفائدة (٢) .

(2) انظر : تفسير سورة يس (ص٣٠٥) الفائدة (٥) .

(3) انظر : الموسوعة الفقهية (٢٩٤/٢٥) .

(4) انظر : تهذيب اللغة (٩١/٧) مادة "سوس" .

(5) انظر : لسان العرب (١٣٠/٦) مادة "سوس" .

والمراد بالسياسة الشرعية : هي التي تتخذ من الشرع منطلقاً لها ، ترجع إليه وتستمد منه كما تتخذ تحقيقه في الأرض وتمكين تعاليمه ومبادئه بين الناس هدفاً لها وغاية ، وكما تتخذه غاية تتخذه منهجاً وطريقاً، فغايتها شرعية ، ومناهجها شرعية"[١].

ومن الأمثلة على السياسة الشرعية من استنباطات العثيمين ما يلي :

عند تفسير قوله تعالى : ﴿إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ربكم أن يمدكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ [آل عمران: ١٢٤] ، قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملة أصحابه من إدخال الأمل في قلوبهم عند اشتداد الأزمات، وهذه هي الطريقة السليمة لأنك إذا أدخلت الأمل على الناس نشطوا ونسوا ما هم فيه من الهم والغم ، أما بعض الناس فيكون على العكس تجده يدخل على الناس التشاؤم والمروعات والمخيفات ، كلما قلنا انتهت هذه المروعات جاءنا بما هو أشد ترويعاً ، هذا لا شك أنه خلاف السياسة الشرعية ، بل وخلاف العقل ، نعم الشيء الذي تدعو الضرورة إليه مما يروع هذا لا بد منه ، أما الذي لا تدعو الحاجة إليه ولا الضرورة ، فافتح للناس باب الأمل ... ولهذا ينبغي لنا أن ندخل على الناس باب الأمل الذي ينشطهم ويدخل عليهم السرور وينسيهم الهموم ، لا أن ندخل عليهم المروعات والمكدرات حتى إن الإنسان تيبس أمعاؤه على بطنه ، فليس هذا بصحيح، بل أدخل الأمل، وما أراد الله سوف يكون ، ولكن مع ذلك أنا أقول : إنما يكون إدخال الأمل حينما يتعلق القلب بالله عزّ وجل وتنقطع الحيل إلا من عند الله عز وجل"[٢].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾ [البقرة : ٢٤٧] ، قال رحمه الله : "من فوائد الآية : أن الملك تتوطد أركانه إذا كان للإنسان مزية في حسبه أو نسبه أو علمه أو قوته ، يؤخذ هذا أولاً من قوله تعالى : ﴿أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولا يؤت سعة من

---

(١) انظر : السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ، د.يوسف القرضاوي (ص٢٦) .

(٢) انظر : تفسير سورة آل عمران (١٣٤/٢) الفائدة (١) .

المال»، وثانيها قوله : «إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم» "[1].

مثال آخر : عند تفسيره لقوله تعالى : «وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب» [ص: ٢٠]، قال – رحمه الله – :

"ومن فوائدها : أن تقوية المُلْك من أكبر أوصاف المَلِك التي يتمتع بها، لأن الله تعالى منَّ بها على داود عليه السلام في قوله : «وشددنا ملكه» "[2].

مثال آخر : عند تفسيره لقوله تعالى : «إذ دخلوا على داود ففزع منهم، قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط واهدنا إلى سواء الصراط» [ص: ٢٢]، قال رحمه الله :

"ومن فوائدها : الحكم بين الناس أفضل من العبادات الخاصة ، لأن نفعه متعدٍ، والعبادات الخاصة نفعُها قاصر، ومن الفوائد: أن الحُكْمَ يحتاج إلى إلزام، لقولهم: «واهدنا إلى سواء الصراط» ، فإن هذا أمر زائد على الحُكْمِ ،لأن الحُكْمَ أن يفصل بينهم، والهداية أن يدلهم على ذلك من أجل إلزامهم به"[3].

المطلب السابع : استنباطات تربوية وسلوكية .

كثيرة هي المسائل التربوية والسلوكية التي استنبطها العثيمين ، وهي تمثل جزءاً لا بأس به في تفسيره ، ومن خلال تتبعي لمواطن الاستنباطات التربوية والسلوكية في تفسيره تبين لي ما يلي :

وجدته يوجه نصائح للأمة الإسلامية وذلك باحترام العلماء وعدم تتبع زلاتهم ، ونشر ذلك في الصحف والمجلات [4]، وكذلك تحذير المسلمين من أساليب اليهود

---

(1) انظر : تفسير سورة البقرة (٣/٢١٥) الفائدة (١٠) .

(2) انظر : تفسيره سورة ص (ص٩٦) الفائدة (٢) .

(3) انظر : تفسيره سورة ص (ص١١٤-١١٥) الفائدة (٦) .

(4) انظر : تفسير سورة آل عمران (١/٣٧٤) الفائدة (٧) .

والنصارى الماكرة في إضلال المسلمين وفتح باب الشهوات عليهم[١]، وتارة تجده ينبه ويرد على بعض النصوص والعبارات الشائعة والمشتهرة في أوساط المجتمع ، ومن ذلك مثلاً الإسلام دين مساواة ، وهي مسألة نبه عليها العثيمين في أكثر من موضع[٢]، وكذلك أن أصل الإنسان قرد[٣]، وكذلك من يقول "الإسلام ما هو إلا أعمال خاصة بالعبادات والأحوال الشخصية" [٤]، وكذلك من يقدم النساء على الرجال في الخطاب[٥]، ومع ذلك فإن العثيمين ربما استدرك على علماء التربية ورد بعض نظرياتهم.

وإليك بعض الأمثلة على استنباطاته التربوية والسلوكية :

عند قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ الآية [النساء : ٣٤]، قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : أنه إذا أمكن التأديب بالخطاب الديني الشرعي فإنه لا يرجع إلى التأديب بالفعل المحسوس ، لأنه بدأ بالموعظة التي هي تليين القلب بالشرع ، فإذا لم يكن فبالعقوبة ، ومن فوائدها: بطلان قول بعض علماء التربية المعاصرين الذين يقولون : إنه لا تحصل التربية بالضرب ، يؤخذ من قوله: ﴿واضربوهن﴾ ، وفي السنة شاهد على ذلك أيضاً ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "واضربوهم عليها لعشر"[٦]، وبهذا يبطل قول علماء التربية الذين قالوا : إن الضرب لا يفيد وإنما يقسي القلب"[٧].

---

(1) انظر : تفسير سورة آل عمران (٥٧٨/١) الفائدة (٣) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٨٠/٣) الفائدة (٦)، وتفسير سورة النساء (٤٤٤/١)، الفائدة (٨) ، والنساء (١٠٣/٢) الفائدة (٥) .

(3) انظر : تفسير سورة النساء (١٧/١) الفائدة (٣) .

(4) انظر : تفسير سورة البقرة (٤١٠/٣) الفائدة (٥) .

(5) انظر : تفسير سورة النساء (٥١/١)، الفائدة (١) وكذلك (٨٢/١) الفائدة (٣) و(١٠٥/١) الفائدة (١٥)، و(٢٧٥/١) الفائدة (٥) .

(6) أخرجه أبو داود في الصبر ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة حديث (٤٩٥) (ص٨٢)، وقال الألباني : "حسن صحيح" ، انظر : صحيح سنن أبي داود (١٤٤/١).

(7) انظر : تفسير سورة النساء (٢٩٨/١) الفائدة (١٤، ١٨) .

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل﴾ [البقرة: ١٠٨] ، قال رحمه الله : "ومنها أي فوائد الآية : أنه لا ينبغي إلقاء السؤال إلا لمصلحة ، أما رجل وقعت له مسألة يسأل عن حكمها أو طالب علم يتعلم ليستنتج المسائل من أصولها، أما الأسئلة لمجرد استظهار ما عند الإنسان فقط ، أو أقبح من ذلك من يستظهر ما عند الإنسان ليضرب آراء العلماء بعضها ببعض ، وما أشبه ذلك ، أو لأجل إعنات المسؤول وإحراجه ، فكل هذا من الأشياء المذمومة، التي لا تنبغي"[١].

المطلب الثامن : استنباطات متنوعة .

استنبط العثيمين عدداً من المسائل المتنوعة والمتعلقة في فنون وعلوم أخرى غير ما ذكرنا، ومن ذلك ما يلي :

١ ــ الطب : مثاله : قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾ [آل عمران: ٢٧] ، "من فوائد الآية: أن هناك أشياء مؤذية ، وهي ما يُعبّر عنه في علم الطب بالجراثيم لا يقتلها إلا شدة البرد وأخرى لا يقتلها إلا شدة الحر ، وهذا شيء مشاهد ، وهذا أيضاً من حكمة الله عزّ وجل المترتبة على إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل"[٢].

٢ ــ استدراكه على المؤرخين : مثاله قوله تعالى : ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً﴾ [النساء: ١٦٣] ، قال رحمه الله : "بطلان قول بعض المؤرخين : إن إدريس كان قبل نوح ، فهذا القول باطل

---

(١) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٥٥/١) الفائدة (٥) .

(٢) انظر : تفسير سورة آل عمران (١٦٧/١) الفائدة (٤) وانظر كلامه على أهل الطب الذين يقولون إن القلب مجرد مضخة للدم فقط ، انظر : تفسير سورة آل عمران (١٧٩/١) الفائدة (٣) .

يبطله القرآن الكريم"[١].

وهناك علوم أخرى تكلم عنها واستنبطها من القرآن الكريم أشير إليها إشارة خشية الإطالة .

فاستنبط رحمه الله فوائد النخيل والأعناب ، وفوائد الحبوب والثمار [٢]، وفوائد الأنعام على وجه العموم [٣]، وفوائد اقتناء الخيل وحسن اختيارها[٤].

---

[1] انظر : تفسير سورة النساء (٢/٤٨١) الفائدة (٣) .

[2] انظر : تفسير سورة يس (ص١٢٣-١٣٠) الفوائد جميعها .

[3] انظر : تفسير سورة يس (ص٢٦٠) الفائدة (١، ٢) ، و(٢٧٥) الفائدة (٤) .

[4] انظر : تفسير سورة ص (ص١٦٥) الفائدة (٦، ٧، ٨) .

المبحث الثالث

منهج ابن عثيمين في طرق الاستنباط من القرآن الكريم

وفيه تسعة مطالب :

المطلب الأول : الاستنباط بدلالة المطابقة .

المطابقة في اللغة : الموافقة ، وطابق بين الشيئين جعلهما على حذو واحد وألزقهما[1].

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) :

"طبق : الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد ، وهو يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطّيه ، ومن ذلك الطَّبق ، تقول : طبقت الشيء على الشيء فالأول طبق للثاني ، وقد تطابقا ، ومن هذا قولهم : أطبق الناس على كذا كأن أقوالهم تساوت حتى لو صُيِّر أحدهما طبقاً للآخر لصلح ، فأما المطابقة فمشي المقيّد ، وذلك أن رجليه متقاربتين كأنهما متطابقتين"[2].

والمطابقة في الاصطلاح : عرف العثيمين المطابقة بقوله : "دلالة اللفظ على جميع معناه ، فدلالة البيت على جميع ما فيه من الغرف والمجالس والأحواش دلالة مطابقة"[3].

ومن الأمثلة على الاستنباط بدلالة المطابقة من تفسير العثيمين ما يلي :

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: ١٧٧] ، قال رحمه الله : "ومن فوائد الآية الكريمة أن الإيمان بالملائكة من البر ويشمل الإيمان بذواتهم وصفاتهم وأعمالهم إجمالاً ، فيما علمناه إجمالاً، وتفصيلاً،

---

(1) انظر : مختار الصحاح (ص٣٤٠) باب الطاء .

(2) انظر : معجم مقاييس اللغة (٤٣٩/٣) مادة "طبق" .

(3) انظر : تفسير سورة ص (ص٥١) الفائدة (٢) .

فيما علمناه تفصيلاً ، واعلم أن الملائكة عليهم السلام منهم من عُيِّن لنا ، وعرفناه باسمه، ومنهم من لم يعين ..." [١].

٢ ــ قال رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿الرحمن الرحيم﴾ [الفاتحة: ٢] : "من فوائد الآية : إثبات هذين الاسمين الكريمين "الرحمن الرحيم" لله عز وجل ، وإثبات ما تضمناه من الرحمة التي هي الوصف ، ومن الرحمة التي هي الفعل"[٢].

٣ ــ قال رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿والقرآن الحكيم﴾ [يس: ٢] : "ومن فوائدها: الثناء على القرآن بأنه حكيم على الوجوه الثلاثة ، بمعنى "مُحْكِم" ، أو بمعنى "مُحْكَم"، أو بمعنى "حاكم" ، كلها تحتمل ، فالقرآن حاكم لأنه يجب الرجوع إليه ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ [النساء : ٥٩]، ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [الجاثية: ٢٩] ، وكذلك مُحْكَم لأن الله تعالى أحكمه وأتقنه ، فليس فيه تناقض ولا تعارض ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: ٨٢]، وهو أيضاً مشتمل على الحكمة، ففيه معنى الحكمة والحكم، وإذا كان حكيماً فإننا نعلم أنه : أولاً حكيم في ترتيبه ، ثانياً: حكيم في أحكامه، ثالثاً: حكيم في أسلوبه.

فالقرآن حكيم بكل معنى الحكمة وبكل معنى الإحكام وبكل معنى الحكم"[٣].

٤ ــ عند قوله تعالى : ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ [ص: ٩]، قال رحمه الله : "من الفوائد إثبات هذين الاسمين من أسماء الله العزيز والوهاب وإثبات ما تضمناه من صفة ، فالوهاب تضمن صفة هي الهبة الكثيرة، وما أكثر هبة الله عزّ وجل ... فعلى الهبة والوهاب من باب دلالة المطابقة"[٤].

---

(1) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٢٨٤) الفائدة (٤) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (١/١١) الفائدة (١١) .

(3) تفسير سورة يس (ص١٦) الفائدة (٣) .

(4) تفسير سورة (ص٥١) الفائدة (٢) .

المطلب الثاني : الاستنباط بدلالة التضمن .

التضمن في اللغة : جعل الشيء في شيء يحويه .

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : "ضمن: الضاد والميم والنون أصل صحيح ، وهو جعل الشيء في شيء يحويه ، من ذلك قولهم : ضمنت الشيء إذا جعلته في دعائه ، والكفالة تسمى ضماناً من هذا لأنه كأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته"[1].

وأما في تعريف دلالة التضمن في الاصطلاح ، فقد عرفها العثيمين بقوله : "دلالة اللفظ على جزء معناه ، فدلالة البيت على كل حجرة وحدها ، ولكل حوش وحده دلالة تضمن"[2].

ومن الأمثلة على الاستنباط بدلالة التضمن من تفسير العثيمين ما يلي :

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قال رحمه الله: "ومنها – أي من فوائد الآية – أنه ينبغي للإنسان أن يحاول كثرة النسل، لقوله تعالى: ﴿حرث لكم﴾ ، فهل الإنسان عندما يحرث أرضاً يقلل من الزرع أو يكثر من الزرع؟ فالجواب: الإنسان عندما يحرث أرضاً يكثر من الزرع ، ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "تزوجوا الودود الولود"[3]، وأما القول بتحديد النسل فهذا لا شك من دسائس أعداء المسلمين ، يريدون من المسلمين ألا يكثروا لأنهم إذا كثروا أرعبوهم واستغنوا بأنفسهم عنهم .."[4].

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال رحمه الله : "ومنها – أي من فوائد الآية – جواز الكلام بين الزوج والزوجة فيما

---

[1] انظر : معجم مقاييس اللغة (٣/٣٧٢) مادة "ضمن" .

[2] انظر : تفسير سورة ص (ص٥١) الفائدة (٢) .

[3] الحديث أخرجه أبو داود في النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء حديث (٢٠٥٠/١) (ص٢٧٩)، وقال الألباني : "حسن صحيح" ، انظر : صحيح سنن أبي داود (٥٧٤/١) .

[4] انظر : تفسير سورة البقرة (٣/٨٨) الفائدة (٣) .

يستحيا منه ، لقوله تعالى : ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ لأنه مضمن معنى الإفضاء"[١].

٣ ــ عند قوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ [ص: ٩] قال رحمه الله : "ومن الفوائد : إثبات هذين الاسمين من أسماء الله العزيز والوهاب، وإثبات ما تضمناه من صفة ، فالعزيز تضمن صفة العزة ، والوهاب تضمن صفة هي الهبة الكثيرة، وما أكثر هبات الله عزّ وجل ، ودلالة الوهاب على الهبة من باب دلالة التضمن"[٢].

المطلب الثالث : الاستنباط بدلالة الالتزام .

الالتزام في اللغة : بمعنى المصاحبة والملازمة ، والدوام عليه والاعتناق .

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : "لزم : اللام والزاء والميم أصل صحيح يدل على مصاحبة الشيء بالشيء ، وإنما يقال لزمه الشيء يلزمه ، واللِّزام : العذاب الملازم للكفار"[٣].

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ) : "وهو في اللغة الملازمة للشيء والدوام عليه والالتزام الاعتناق"[٤].

وعرف العثيمين دلالة الالتزام اصطلاحاً فقال : "دلالة اللفظ على اللازم الخارج الذي لا يدل عليه بلفظه ، لكن من لوازمه ، فدلالة البيت على أن له بانٍ دلالة التزام، لأن البيت لا بد له من بانٍ ، فنقول : هذا قد بناه بانٍ ما هو الدليل ؟ لأن البيت لا بد له من بانٍ"[٥].

---

(1) انظر : تفسير سورة البقرة (٣١٥/٢) الفائدة (٢) الموجود في الطبعة "لأنه مضمن معنى الإفضاء" ، ولعل الصحيح "مضمن معنى الرفث" .

(2) انظر : تفسير سورة ص (ص٥١) الفائدة (١) .

(3) انظر : معجم مقاييس اللغة (٢٤٥/٥) مادة "لزم" .

(4) انظر : لسان العرب (٢٧٢/١٢) مادة "لزم" .

(5) انظر: تفسير سورة ص (ص٥١) الفائدة (٢) .

ويدخل تحت دلالة الالتزام : دلالة الاقتضاء ، ودلالة الإيماء والتنبيه ، ودلالة الإشارة، قال محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) بعد أن ذكر دلالة الاقتضاء ودلالة الإشارة ودلالة الإيماء والتنبيه : "وكل هذه الثلاثة من دلالة الالتزام"[١].

وقد ظهر جلياً بأمثلة متنوعة استعماله لهذا النوع من طرق الاستنباط ومن ذلك:

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال رحمه الله : "ومنها – أي من فوائد الآية – أن الإيمان مقتضى لامتثال الأمر، لأن الله صدّر الأمر بهذا النداء ، والحكم لا يقرن بوصف إلا كان لهذا الوصف أثر فيه، وهذه الفائدة مهمة ؛ ولا شك أن الإيمان يقتضي امتثال أمر الله عزّ وجل"[٢].

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ [النساء : ٢]، قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : وجوب حفظ أموال اليتامى ، لأنهم يلزم من إتيانهم أموالهم الحفظ؛ إذ لو فرّط الولي ، وأهمل وضاعت الأموال لم يكن قد آتاهم أموالهم ، وأن اليتيم يملك وملكه تام ، لقوله تعالى : ﴿أموالهم﴾ "[٣].

٣ ــ عند قوله تعالى : ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب﴾ [ص: ٩]، قال رحمه الله : "ومن الفوائد : إثبات هذين الاسمين من أسماء الله العزيز والوهاب، وإثبات ما تضمناه من صفة ، فالوهاب تضمن صفة القدرة ، لأنه لا يهب إلا القادر ، وتضمن الغنى، لأنه من لا شيء عنده لا يمكن أن يهب ، وتضمن الكرم ، لأن البخيل لا يهب، فدلالته على القدرة والغنى والكرم من باب دلالة الالتزام"[٤].

---

(1) انظر : مذكرة في أصول الفقه (ص٢٨٣) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٧/٣) الفائدة (٢) .

(3) انظر : تفسير سورة النساء (٢٣/١) الفائدة (٢، ٣) .

(4) انظر : تفسير سورة ص (ص٥١) الفائدة (٢) .

المطلب الرابع : الاستنباط بدلالة النص "مفهوم الموافقة" .

المفهوم في اللغة : "اسم مفعول من فَهِمَ يَفْهَمُ"[١].

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : "فهم : الفاء والهاء والميم ، علم الشيء ، كذا يقولون أهل اللغة"[٢].

ويعرف المفهوم اصطلاحاً بأنه : "ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق"[٣].

ويقسم العلماء المفهوم إلى قسمين :

القسم الأول : مفهوم الموافقة ، والقسم الثاني : مفهوم المخالفة [٤].

وحديثنا هنا عن مفهوم الموافقة ، فيعرف بأنه : "دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه ، وموافقته له نفياً وإثباتاً لاشتراكهما في معنى يدرك بمجرد معرفة اللغة دون الحاجة إلى بحث واجتهاد"[٥].

ويسمي الأصوليون هذا النوع بأسماء كثيرة ، وهي : دلالة النص ، ودلالة التنبيه الأولى ، ومفهوم الخطاب ، وفحوى الخطاب أو فحوى اللفظ ، ولحن الخطاب أو لحن القول، وتنبيه الخطاب والقياس الجلي والمخصوص بالذكر[٦]، قال الغزالي (ت ٥٠٥هـ) بعد ذكره لبعض أسماء مفهوم الموافقة : "ولكل فريق اصطلاح آخر، فلا تلتفت إلى الألفاظ ، واجتهد في إدراك حقيقة هذا الجنس"[٧].

---

(1) انظر : التحبير شرح التحرير في أصول الفقه للمرداوي (٦/٢٨٧٥) .

(2) انظر : معجم مقاييس اللغة (٤/٤٥٧) مادة "فهم" .

(3) انظر : التحبير شرح التحرير للمرداوي (٦/٢٨٧٥) .

(4) انظر : المصدر السابق (٦/٢٨٧٦) .

(5) انظر : تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، د.محمد أديب الصالح (١/٦٠٧) .

(6) انظر : العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء (١/١٥٢)، والمستصفى من علم الأصول للغزالي (٢/١٩٥)، والتحبير شرح التحرير (٦/٢٨٧٦) .

(7) انظر : المستصفى من علم الأصول (٢/١٩٦) .

ومن الأمثلة على الاستنباط بدلالة مفهوم الموافقة من تفسير العثيمين ما يلي:

١ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ [البقرة: ٢٠٨] قال رحمه الله : "تحريم التشبه بالكفار ، لأن أعمال الكفار من خطوات الشيطان، لأن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر ، ولا أنكر من الكفر والعياذ بالله"(١).

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ [البقرة: ١٧٨] ، قال رحمه الله : "ومنها – أي من فوائد الآية – أن الأنثى تقتل بالرجل ، لأنها إذا قتلت بالأنثى فإنه من باب أولى تقتل بالرجل، ودلالة الآية عليه من باب مفهوم الأولوية"(٢).

المطلب الخامس : الاستنباط بدلالة المفهوم "مفهوم المخالفة" .

ويعرف مفهوم المخالفة بأنه : "دلالة اللفظ على ثبوت حكم المسكوت عنه مخالف لما دل عليه المنطوق ، لانتفاء قيد من القيود المعتبرة في الحكم"(٣).

والأصوليون يسمون هذا النوع بأسماء وهي : مفهوم المخالفة ، وتنبيه الخطاب، ودليل الخطاب، ولحن الخطاب(٤).

قال الغزالي (ت ٥٠٥هـ) : "ولا التفات إلى الأسامي"(٥).

ومن الأمثلة على الاستنباط بدلالة مفهوم المخالفة ما يلي :

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ، فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال رحمه الله:

---

(١) انظر : تفسير سورة البقرة (٩/٣) الفائدة (٦) .

(٢) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٠١/٢) الفائدة (١١) .

(٣) انظر : تفسير النصوص (٦٠٩/١) .

(٤) انظر : المستصفى (١٩٦/٢)، شرح تنقيح الفصول للقرافي (ص٥٣)، التحبير شرح التحرير (٢٨٩٣/٦) .

(٥) انظر : المستصفى (١٩٦/٢) .

"ومنها – أي من فوائد الآية – أن من تعذر أو تعسر عليه الهدي فلا شيء عليه لقوله تعالى : ﴿فما استيسر من الهدي﴾ ولم يذكر بديلاً عن العجز"[١] .

وقال رحمه الله : "ومنها – أي من فوائد الآية – لا يحرم حلق شعر غير الرأس ، لأن الله خص النهي بحلق الرأس فقط ، وأما الشارب والإبط والعانة والساق والذراع فلا يدخل في الآية الكريمة، لأنه ليس من الرأس ، والأصل الحل ، وهذا ما ذهب إليه أهل الظاهر ، قالوا: لا يحرم حلق شيء من الشعر المباح حلقه سوى الرأس لأن الله سبحانه وتعالى خصه ، فقال: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ ، ولأن حلقه يفوت به نسك بخلاف غيره من الشعور"[٢].

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ [آل عمران: ١٧٦]، قال رحمه الله : "ومن فوائدها بالمفهوم أن الكافر قد يكون له حظ في الدنيا وكفره لا يمنعه من الحظ في الدنيا"[٣].

٣ ــ عند قوله تعالى : ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء : ٨٠]، قال رحمه الله : "إن معصية الرسول معصية لله ، تؤخذ بطريقة المفهوم ، لأنه إذا كانت طاعته طاعة لله فمعصيته معصية لله عزّ وجل"[٤].

المطلب السادس : الاستنباط بالقياس .

القياس في اللغة : مصدر قايس وقَيْسُ من قولك : قاسَ يَقِيسُ قَيْساً وقِياساً وأصله الواو ، وقاس يقوس : من القياس [٥].

---

(1) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٤٠٠) الفائدة (١٠) .

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٢/٤٠٢) الفائدة (١٥) .

(3) .

(4) .

(5) انظر : تهذيب اللغة (٩/١٧٧) ، المحيط في اللغة (٥/٤٦٩) مادة "قوس" .

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : "قوس : القاف والواو والسين أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء ، ثم يصرَّف فتقلب واوه ياءً ، والمعنى في جميعه واحد، فالقوس: الذراع، وسميته بذلك أنه يقدر بها المذروع ، ومنه القياس ، وهو تقدير الشيء بالشيء، والمقدار مقياس ، تقول : قايست الأمرين مقايسة وقياساً"[1].

وقال ابن منظور : (ت ٧١١هـ) : "قيس : قاس الشيء يقيسه قَيْساً وقياساً ، واقتاسه وقيّسه إذا قدّره على مثاله والمقياس المقدار"[2].

وأما تعريف القياس اصطلاحاً ، فقد عرفه ابن عثيمين بقوله : "تسوية فرع بأصل في حكم لعلة جامعة بينهما"[3].

ومن الأمثلة على استنباطات العثيمين بالقياس ما يلي :

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ [آل عمران: ٣١] قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : أنه ينبغي للإنسان أن يجيب غيره بما هو أكثر من سؤاله إذا دعت إليه الحاجة ، لأنه لم يقل: فاتبعوني تحبوا الله، بل قال: يحببكم ، ولا أحد يحبه الله إلا وهو يحب الله ، لأنك إذا أحببت الله عملت فأحبك الله ، فلهذا أتي بالثمرة المهمة وهي محبة الله للعبد"[4].

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾ الآية [النساء : ٨٣]، قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة أن هذه الآية تنطبق تماماً على ما نحن فيه الآن ، حيث إن كثيراً من الناس يعلنون الأخبار على عواهنها ، ولا يبالون بما يترتب عليها من خير أو شر ولا يزنون بين المصالح بعضها مع بعض ولا بين المفاسد بعضها مع بعض ، ولا بين المصالح والمفاسد ، وإنما يذيعون الشيء وينشرونه بدون

---

[1] انظر : معجم مقاييس اللغة (٤٠/٥) مادة "قوس" .

[2] انظر : لسان العرب (٢٢٦/٦) مادة "قيس" .

[3] انظر : الأصول من علم الأصول (ص٦٨)، وشرح نظم الورقات (ص١٨٨) .

[4] انظر : تفسير سورة آل عمران (١٩٤/١) الفائدة (٨) .

تحقيق ولا تمحيص ، وهذا من دأب المنافقين ، لأن الله تعالى ذكرهم في هذا السياق ، فقال : ﴿ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون﴾ [النساء: ٨١]" [١] .

المطلب السابع : الاستنباط بالمطرد من أسلوب القرآن الكريم .

معنى المطرد لغة : المطّرد مأخوذ من اطرد الشيء إذا تتابع .

قال ابن دريد (ت ٣٢١هـ) : "وكل شيء اتبع بعضه بعضاً فقد اطّرد ، ومنه اطرد لي الكلام إذا اتسق لي على ما أريد"[٢].

وقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ) : "وطردت الأشياء : إذا اتبع بعضها بعضاً ، واطرد الكلام : إذا تتابع ، واطرد الماء إذا تتابع بسيلانه ، قال الراعي يصف الإبل واتباعها مواضع القطر :

سَيَكْفِيكِ الإلهُ ومُسْتَمَاتٌ كَجَنْدَلِ لُبْنَ تَطَّرِدُ الصِّلالا[٣]

أي : يتتبع مواقع القطر"[٤].

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : "ويقال اطرد الشيء اطراداً ، إذا تتابع بعضه بعضاً، وإنما قيل ذلك تشبيهاً كأن الأول يطرد الثاني"[٥].

والمراد بأسلوب القرآن : طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[٦].

---

(1) انظر : تفسير سورة النساء (٢٦/٢) الفائدة (٥) .

(2) انظر : جمهرة اللغة (٢٤٨/٢) مادة "طرد" .

(3) انظر : ديوان الراعي النميري (ص٢٤٥) .

(4) انظر : تهذيب اللغة (٢١٢/١٣) مادة "طرد" .

(5) انظر : معجم مقاييس اللغة (٤٥٥/٣) مادة "طرد" .

(6) انظر : منهج الاستنباط من القرآن للوهيبي (ص٣٣٧) .

والمراد بالمطرد من أسلوب القرآن الكريم : تتابع الأفعال واختيار الألفاظ تجاه أمرٍ ما في القرآن الكريم ، كتتابع إخباره تعالى عن نفسه تعذيب الأقوام لنفس العلة من الكفر والفسوق ، وكتتابع اختياره تعالى للكتابة فيما يستحي من ذكره في الغالب ، فيكون ذلك مطرداً من أسلوب القرآن الكريم ، ومما يلحق بالاستنباط بأسلوب القرآن الاستنباط من أفعال الله المذكورة في كتابه ، وما حكاه من أفعال أنبيائه الكرام عليهم الصلاة والسلام[1].

ومن الأمثلة على الاستنباط بالمطرد من أسلوب القرآن الكريم من تفسير العثيمين ما يلي:

١ ــ قال تعالى : ﴿**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم**﴾ الآية [النساء: ٨٣]، قال رحمه الله : "من فوائد الآية الكريمة : ما جرت به العادة في أن الله عزّ وجل إذا نهى عن شيء بيّن وجهاً آخر غير منهي عنه ، يؤخذ من قوله : ﴿**ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**﴾ ، وهذه الآية قاعدة جاءت في القرآن وجاءت في السنة النبوية ، ففي القرآن الكريم في قوله : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ، وقولوا انظرنا**﴾ [البقرة: ١٠٤]، فجاء بكلمة مباحة بدلها ، وفي السنة ، لما جيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بتمر جيد ، وسأل من أين هذا؟ قال : كنا نأخذ الصاع من هذا بصاعين ، والصاعين بثلاثة ، فقال: لا تفعل، ثم أرشدهم فقال : بع الجَمْعَ بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جَنِيبًا[2]»[3]، إذاً لا ينبغي للإنسان المبين للناس أحكام شريعة الله أن ينهاهم عن شيء حتى يفتح لهم باب الحل»[4].

٢ ــ قال تعالى : ﴿**بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين**﴾ [يس: ٢٧] ، قال رحمه الله : "يستفاد منها : أن المغفرة تسبق الإكرام والرحمة ، ويدل لهذه القاعدة التتبع ،

---

(1) انظر : الموافقات للشاطبي (٤/٢٠٠-٢٠٧)، ومنهج الاستنباط للوهيبي (ص٣٣٨) .

(2) الجنيب : نوع جيد معروف من أنواع التمر ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/١٩٧).

(3) الحديث أخرجه البخاري في البيوع ، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه ، حديث (٢٠١، ٢٠٢) (ص٣٥١).

(4) انظر : تفسير سورة النساء (٢/٢٤-٢٥-) الفائدة (٢) .

فإن الغالب أن الله عزّ وجل إذا قرن بين الاسمين : الغفور والرحيم يقدم الغفور على الرحيم"[1].

٣ ــ عند قوله تعالى : ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ [ص: ٥]، قال رحمه الله : "ومن فوائد هذه الآية : وجوب تقديم الأهم فالأهم في الدعوة إلى الله ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أول ما دعا هؤلاء إلى التوحيد ، لم يقل : صلّوا ولا زكّوا ولا صوموا ، ولا حجّوا ، بل دعاهم إلى التوحيد ، وهذا هو شأن القرآن، وهذا هو شأن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية ، فإنه لما بعث معاذاً إلى اليمن أمره أن يدعوهم أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[2].

المطلب الثامن : الاستنباط من نص واحد ظاهر المعنى .

ومعناه أن يكون الاستنباط من النص المراد توضيحه واستجلاء ما فيه من فوائد دون أن يربط ذلك بنص آخر من الكتاب أو السنة .

ومن الأمثلة على ذلك من تفسيره ما يلي :

١ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة : ٤] قال رحمه الله: "ومن فوائد الآية : إثبات البعث والجزاء لقوله تعالى : ﴿مالك يوم الدين﴾"[3].

٢ ــ عند تفسير قوله تعالى : ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ٣] ، قال رحمه الله : "من فوائد الآية : أن من أوصاف المتقين الإيمان بالغيب ، ومنها أن من أوصاف المتقين إقامة الصلاة، ومن فوائدها أن من أوصاف المتقين الإنفاق مما رزقهم الله"[4].

---

(1) انظر : تفسير سورة يس (ص٩٨) الفائدة (١٥) .

(2) انظر : تفسير سورة ص (ص٣٢) الفائدة (٢) .

(3) انظر : تفسير سورة الفاتحة – البقرة (١٣/١) الفائدة (٢) .

(4) انظر : تفسير سورة البقرة (٣٢/١) الفائدة (١ ، ٢ ، ٣) .

المطلب التاسع : الاستنباط بالربط بين نصين أو أكثر .

وهذا النوع من الاستنباط قسيم النوع الذي قبله ، ومن الأمثلة على هذا النوع من تفسير العثيمين ما يلي:

١ ــ عند قوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ﴾ [البقرة: ٢١٤] ، قال رحمه الله: "ومنها – أي من فوائد الآية – الإشارة إلى ما جاء في الحديث الصحيح : "وحفت الجنة بالمكاره"[(١)]، لأن هذه مكاره ، ولكنها هي الطريق إلى الجنة"[(٢)].

٢ ــ عند قوله تعالى : ﴿إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ [ص: ١٤] ، قال رحمه الله : "ومن فوائدها الاعتبار بالأغلب ، وأن الكل قد يطلق على الأغلب لأن قوم نوح لم يكذبوا كلهم ، قال الله تعالى : ﴿وما آمن معه إلا قليل﴾ [هود: ٤٠]، وكذلك عاد ، قال الله تعالى : ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا برحمة منا﴾ [هود: ٥٨]، وكذلك لوط آمن معه مَنْ آمن مِنْ أهله كما قال تعالى : ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ [الذاريات ٣٥]، وكذلك فرعون لم يؤمن إلا حينما أدركه الغرق إيماناً لا ينفعه، وكذلك صالح آمن معه مَنْ آمن ، وعلى هذا فالله عزّ وجل قال: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾ أي : من هؤلاء إلا كذب الرسل"[(٣)].

الخاتمة:

وبعد طول قراءة واطلاع لتفسير العثيمين تبين لي بعض النتائج التي توصلت إليها، وانقدح في ذهني أمورٌ يصلح أن تكون توصيات لتكون لبنة أخرى تضاف إلى هذا العمل

---

(1) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب صفة الجنة حديث (٧١٣٠) (ص١٢٢٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحديث (٧١٣١) (ص١٢٢٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) انظر : تفسير سورة البقرة (٤٢/٣) الفائدة (١١) .

(3) انظر : تفسير سورة ص (ص٧٢) الفائدة (١٠) .

المتواضع .

أولاً : النتائج :

١. امتازت استنباطاته بالدقة وقوة الاستدلال .

٢. براعته في عنصرة الاستنباطات وترتيبها ترتيباً متناسقاً .

٣. شمولية وتنوع استنباطات العثيمين لأكثر العلوم والموضوعات العلمية.

٤. حق لي أن أصنف العثيمين بأنه جامعة علمية متمثلة في شخصيته العلمية رحمه الله، ونحن رأينا كيف استنبط واستدل لما يسمى بالعلوم الشرعية وكذلك العلوم النظرية التطبيقية .

٥. تنوع وكثرة صيغ الاستنباط عند العثيمين .

٦. الطريقة الفذة التي استعملها في عرضه للاستنباط .

٧. استعماله لأكثر من دلالة في طرق الاستنباط من القرآن الكريم .

ثانياً : التوصيات .

١. الاهتمام بتفسير العثيمين والإفادة منه ومن منهجه .

٢. أوصي بجمع استنباطات العثيمين من القرآن الكريم ودراستها دراسة تفصيلية مستوفاة ، أو أن يتبنى كل قسم من الأقسام العلمية في الجامعة بجمع ودراسة ما يخصه من موضوعات الاستنباط أو تقوم الأقسام العلمية في الكلية بتكليف طلاب الدراسات العليا بجمع ودراسة استنباطات ابن عثيمين دراسة علمية متخصصة.

وختاماً أسأل الله عزّ وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : مؤلفات الشيخ محمد بن صالح العثيمين :

١. تفسير القرآن الكريم "الفاتحة والبقرة" ، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢. تفسير القرآن الكريم، سورة آل عمران، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣. تفسير سورة النساء، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٠هـ .

٤. تفسير القرآن الكريم ، سورة الكهف، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥. تفسير القرآن الكريم، سورة يس، دار الثريا، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦. تفسير القرآن الكريم، سورة ص، دار الثريا، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧. تفسير القرآن الكريم، من سورة الحجرات إلى سورة الحديد، دار الثريا، ط١، ١٤٢٥هـ.

٨. تفسير القرآن الكريم، جزء عمّ، دار الثريا، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٩. أحكام من القرآن الكريم، مدار الوطن ، ١٤٢٥هـ.

١٠. الأصول من علم الأصول ، رسالة مختصرة في أصول الفقه، ط/ دار ابن الجوزي ، ط١، ١٤٢٤هـ .

١١. شرح نظم الورقات في أصول الفقه، ط/دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٢. الشرح الممتع على زاد المستقنع .

ثالثاً : المصادر العامة .

١. تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي،

ط١، ١٤٢١هـ.

٢. الجامع لحياة العلاّمة محمد بن صالح العثيمين العلمية والعملية وما قيل فيه من مراثي، وليد بن أحمد الحسين، سلسلة إصدارات الحكمة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣. جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، د.أحمد بن محمد البريدي، مكتبة الرشد، ط١ ، ١٤٢٦هـ.

٤. ديوان الراعي النميري، جمعه وحققه وايفرت فايرت، دار النشر فرانتس، ١٤٠١هـ.

٥. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث السجستاني، دار السلام، ط٢، ١٤٢١هـ.

٦. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ.

٨. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، ١٤٢٠هـ.

٩. منهج الاستنباط من القرآن الكريم، مؤلفه: فهد بن مبارك الوهبي، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٠. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان دوادي، ط/دار القلم ، الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٣هـ .

١١. مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبير والمفسر ، د.مساعد الطيار، ط/دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي ، د.محمد أديب صالح ، ط/المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ.

١٣. العدة في أصول الفقه ، للقاضي أبي يعلى الفراء، تحقيق: د.أحمد بن علي

المباركي، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

١٤. المستصفى من علم الأصول ، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق: د.محمد سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ.

١٥. التحبير شرح التحرير في أصول الفقه الحنبلي، لأبي الحسن علاء الدين المرداوي، تحقيق: د.عبدالرحمن الجبرين وآخرون، ط/مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

١٦. صحيح سنن أبي داود ، للعلامة محمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ .

١٧. لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث ، د.عبدالفتاح أبو غدة، ط/دار البشائر الإسلامية.

١٨. جمهرة اللغة ، ابن دريد، ط/مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ.

١٩. مذكرة في أصول الفقه ، لمحمد الأمين الشنقيطي ، ط/مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ .

٢٠. مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان ، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

٢١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط/دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ.

٢٢. شرح أشعار الهذليين ، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج ومحمود شاكر، مكتبة دار التراث .